السنة السادسة والعشرون   العدد ١٠   تشرين الاول ١٩٢٨

المشرق

اخوة واخوات يسوع

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

١

ذكر لفظة «اخوة» في الآيات

ورد في اسفار العهد الجديد ذكرُ «اخوة واخوات يسوع» فنقول انهُ يُراد بهم اقارب السيّد المسيح، لا اخوة ليسوع في الحقيقة

يُفيدنا ان نأتي باديء بدء بالآيات التي ورد فيها ذكرُ اخوة واخوات يسوع:

«فيما هو يتكلّم مع الجموع اذا امّه واخوته قد وقفوا خارجاً يريدون ان يكلّموه . فقال لهُ واحدٌ ان امّك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يكلّموك» (متى ١٢: ٤٦و٤٧)

«اليس هذا هو ابن النجّار. اليست امّه تسمّى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا. او ليست اخواته كلهنَّ عندنا فمن اين لهُ هذا كله. وكانوا يشكّون فيه» (متى ١٣: ٥٥—٥٧)

«حينئذٍ جاءت امّه واخوته ووقفوا خارجاً وارسلوا اليهِ يدعونه. وكان الجمع جلوساً حوله فقالوا لهُ ان امّك واخوتك خارجاً يطلبونك» (مرقس ٣: ٣١و٣٢)

«أليس هذا هو النجّار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان او ليست اخواته ههنا عندنا . وكانوا يشكون فيه» (مرقس ٦: ٣)

«واقبلت اليه امّه واخوته فلم يقدروا على الوصول اليه لاجل الجمع. فأُخبر

وقيل لهُ ان امك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يروك» (لوقا ٨: ١٩و٢٠)

«وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه ولبثوا هناك اياماً غير كثيرة» (يوحنا ٢: ١٢)

«فقال لهُ اخوته تحوَّلْ من ههنا واذهب الى اليهودية ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تصنعها ... لانَّ اخوته لم يكونوا يؤمنون بهِ» (يوحنا ٧: ٣و٥)

«هؤلاء [اي الاحد عشر رسولًا] كلّهم كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوتهِ» (اعمال ١: ١٤)

«أما لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرسل واخوة الرب وكيفا (١» (١ كور ٩: ٥)

«ولم ارَ غيره من الرسل سوى يعقوب اخي الرب» (غلاطية ١: ١٩)

فمن إلقاء النظر على مجموع هذه الآيات يتبادر الى الذهن انَّ المسمَّين اخوة يسوع هم اولاد مريم العذراء ويوسف واخوة يسوع في الحقيقة . وليس الامر كذلك بل هم من اقارب المسيح كما سنبيّنه بالادلّة التي لا مردّ عليها

***

بتولية العذراء مريم والقديس يوسف

انَّ الكنيسة جمعاء، إن شرقيّة وإن غربية، اعتقدت ولا تزال تعتقد كحقيقة من الايمان ان مريم امّ يسوع هي عذراء لم تعرف رجلًا . وهذا الاعتقاد يؤيّده جميع آباء الكنيسة كاوريجين وباسيليوس وابيفانيوس وثاوفيلكتوس وكيرلّس الاسكندري وتيودوريت وايرونيموس وامبرسيوس واوغسطينوس وكثير غيرهم . وقد سلَّم بهذه الحقيقة بعض البروتستانت . زد على ذلك اننا نجدها في قانون ايمان الرسل حيث مريم امّ يسوع تسمَّى عذراء: «وُلد من مريم العذراء» فكان

١) كان من عادتهم ان يستصحبوا في جولاتهم نساء تقيَّات ليخدمنهم في التبشير كما هو مذكور في الانجيل عن المسيح نفسه «وبعد ذلك جال في المدن والقرى يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعهُ الاثنا عشر ونساء كان قد ابرأهنَّ من ارواح شريرة وامراض وهنَّ مريم ... وحنَّة ... وسوسنَّة ... وأُخر كثيرات كنَّ يبذلنَ من اموالهنَّ في خدمته» (لوقا ٨: ١-٤)

هذا اللقب مميزًا لها ، لانها حبلت بيسوع بقوَّة الروح القدس: «انَّ الروح القدس يحلّ عليكِ وقوَّة العلي تظلِّلكِ» (لوقا ١: ٣٥) . وكانت عذراء في ولادتها يسوع اذ انهُ وُلد منها كما يجتاز شعاع النور الزجاج دون ان يثلمه ، وكما دَخل يسوع عِلِّيَّة صهيون بعد قيامته والابواب مُغلَقة (يوحنا ٢٠: ١٩و٢٦) ويُستنتَج ذلك ايضاً من نوع كلام لوقا (٢: ٧) في ميلاد يسوع : «ولدت ابنها البكر فلفَّتهُ واضجعتهُ في مذود». فالعذراء مريم ذاتها عُنيت بمولودها الحديث الطفل يسوع. وهذا يدلّ صريحًا ، وإن ضمناً ، على ولادة خارقة العادة وميلاد عجائبي. وبقيت عذراء بعد الولادة لانها حياتها كلّها لم تعرف رجلًا ولم تلد غير يسوع . ويرى الآباء القديسين يخصصون بالعذراء مريم ما قالهُ حزقيال النبي (٤٤: ٢) عن باب المقدس: «قال لي الربّ ان هذا الباب يكون مُغلَقاً لا يُفتَح ولا يدخل منهُ رجل لان الرب إله اسرائيل قد دخل منهُ فيكون مغلقاً» . اوكان لائقاً ان التي ولدت يسوع وحفظها عذراء في ميلاده تلد غيره وتفقده بتوليتها ؟ لا لعمرُ الحقّ . فالمعتقد القويم الذي نادت بهِ جميع الكنائس منذ ابتداء النصرانيَّة هو ان مريم العذراء هي دائمة البتولية

وقد اثبت هذه العقيدة الاحبار الاعظمون ، والمجامع. فأصدر البابا سيريس حكمه سنة ٣٩١ مؤيدًا هذا الايمان . وفي المجمع اللاتراني المنعقد سنة ٦٤٩ قرّر الآباء ان البتول مريم بقيت عذراء بعد الولادة . وفي السنة ١٥٥٥ حرم البابا بولس الرابع هرطقة السوسنيين ، واعلن ان مريم والدة الله هي عذراء قبل الولادة ، وفي الولادة ، وبعد الولادة ؛ وان هذا الاعتقاد هو من جملة الحقائق التي يجب ان نؤمن بها

ثم ان بعض الآباء ، واخصهم القديس ايبفانيوس ، رغبةً منهم في ان يدافعوا عن حقيقة بتولية مريم العذراء ، بسبب ما ورد في اسفار العهد الجديد من ذكر اخوة واخوات يسوع ، ارتأوا ان من يسمّيهم الكتاب المقدس بهذا الاسم كانوا اولاد يوسف خطيب مريم البتول ، وُلدوا لهُ من امرأةٍ كان تزوّجها قبل ان يخطب العذراء . لكنَّ هذا القول لا سند لهُ وهو بعيد عن الصواب ، ومنافٍ لما علَّمتهُ وتعلِّمهُ الكنيسة من ان خطيب مريم العذراء كان

وبقي بتولاً حياته كلها. وقد دافع عن بتولية القديس يوسف القديس ايرونيموس وكثير من آباء الكنيسة ومعلميها

قال القديس ايرونيموس : «ظنّ البعض ان اخوة الرب هم اولاد يوسف وُلدوا لهُ من امرأة اخرى متقادين في ظنّهم هذا الى احلام الاناجيل الابوكريف» اي الاناجيل الزور . وقال ايضاً مخاطباً هلفيديوس الذي كان ينكر بتولية مريم العذراء «تدّعي انت ان مريم لم تبقَ عذراء . وانا اقول لك ما هو اعظم وهو ان يوسف نفسه كان بتولاً وذلك بسبب مريم لكي يُولَد البتوليّة بالذات (اي يسوع) من زواج بتولَين ». وتعليم ايرونيموس هذا قد تمسّك بهِ يوحنا فم الذهب مصباح الكنيسة الشرقية وقد انضمّ اليهما تيودوريت وثاوفيلكتوس من آباء اليونان . اما آباء الكنيسة الغربية فانهم لم يذكروا مسألة زواج يوسف خطيب العذراء بامرأة اخرى الّا ليفنّدوا هذا القول الفاسد ويرذلوه . قال القديس اوغسطينوس في عظته ٢٤ ليوم ميلاد الرب «قد وُلد المسيح قوة الملائكة من مريم ويوسف المتشابهين في البتولية»

وتعليم الآباء تؤيده الليتورجيات : فالكنيسة اليونانية تمدح يوسف بثناء عطر لم تخصّ بهِ اعظم القديسين وتذكر صريحاً بتوليته في المناون الكبير في يوم الاحد المعروف بأحد يوسف الواقع بعد عيد الميلاد حيث ورد عنهُ ما ترجمته «انك (يا يوسف) قد حصلتَ على البتولية ودُعيت اباً للطفل المولود» وفي مناون الروم المطبوع ببيروت (الجزء الاول ص ٣٦٤ العمود ٢) نقرأ «يا يوسف المجيد انك مزيّن بسيرة لا عيب فيها فقد حصلت حافظاً للبتولية الحقيقية البريئة من العيب ودُعيت اباً للغلام المولود فتعظمت بهذه التسمية الشريفة». أيوجد شهادة اوضح من هذه ؟ وفي السنكسار اليوناني المستعمل في كنائس اليونان في ايطالية ورد ذكر عيد القديس يوسف بهذه الصورة «عيد الجليل والدائم البتولية يوسف خطيب مريم العذراء»

ان مقام القديس يوسف وشرف العذراء مريم كانا يقتضيان بتولية يوسف لان يسوع اختار امّاً بتولاً واصطفى لهُ صابغاً بتولاً ، يوحنا المعمدان ، وأحب تلميذاً بتولاً ، يوحنا الحبيب . افما كان من اللائق ان يختار لهُ اباً شرعياً يكون

بتولاً ؟ لان البتولية اسمى رتبة من الزواج وتفوقه شرفاً فقد قال الحكيم (حكمة ٤ : ١) « ان البتولية مع الفضيلة اجمل » . وقال بولس الرسول (١ كور ٧ : ٣٨) : « من زوّج عذراءه يفعل حسناً ومن لم يزوجها يفعل احسن » . والوثنيون انفسهم نظروا الى البتولية بعين الاعتبار وأقرّوا بشرفها فقد كان الشعب الروماني يفتخر كل الافتخار بتلك العذارى المنقطعات الى خدمة الالهة فستا ولقد قرظوا في كتبهم العفة ابدع تقريظ . قال شيشرون « لا شيء انقى واحسن من حياة العزّاب المنقضية بملازمة العفة »

امّا مصدر رأي ايبفانيوس الفاسد فهو الاناجيل الابوكريف ، اي الاناجيل الزور ، انجيل يعقوب وانجيل بطرس وانجيل ميلاد مريم وانجيل طفولية يسوع .

فلتأييد حقيقة بتولية مريم لا حاجة الى القول بان من يُسمّون اخوة يسوع كانوا اولاد يوسف خطيب مريم العذراء من زواج سابق لزواجها . بل يكفي ان نبيّن اولاً ان اللفظة « اخ واخوة » تُطلق على الاقارب بدرجات متفاوتة . وان نبيّن ثانياً ان الذين يُسمّون اخوة يسوع نجد لهم في الانجيل وفي التاريخ ابوين مختلفين عن مريم العذراء وخطيبها يوسف

* * *

معنى كلمة « اخوة »

نقول اولاً ان اللفظة « اخ واخوة » وردت في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس بمعنى الاقارب ، لا بمعنى الاخوة الحقيقيين . ففي سفر التكوين (١٣ : ٨) يسمّي ابراهيم الخليل لوطاً اخاهُ : « انا نحن رجلان اخوان » ؛ « فلمّا سمع ابرام ان اخاهُ قد أُسِر . . . فاسترجع جميع المال ولوطاً اخاه » (تكوين ١٤ : ١٤ و١٦) . ومعلوم ان لوطاً لم يكن اخاً لابراهيم بل ابنَ اخيه : « واخذوا لوطاً ابن اخي ابرام » (تكوين ١٤ : ١٢) . وفي سفر اخبار الايام الاول (٢٣ : ٢٢) نقرأ : « ومات اليعازار ولم يكن لهُ بنون بل بنات فاخذهنَّ اخوتهنَّ بنو قيش » . يريد بالاخوة بني العمّ كما يتّضح من الفصل ذاته (٢٣ : ٢١) : « وابنا مَحْلي أليعازار وقيش » . وجاء في سفر الاحبار (١٠ : ٤) : « دعا موسى ميشائيل وألصفان ابني عزيئيل عمّ هرون . وقال لهما تقدّما واحملا اخويكما من امام

القُدس الى خارج المحلّة » يعني باللفظة «اخويكما» ابني ابن العمّ ، لانّ الكلام عن ناداب وابيهو ابني هرون اللذين قرّبا بين يدي الرب بخورًا لم يأمرهما به فأكلتهما النار وماتا. وفي سفر الملوك الرابع (١٠: ١٣) ورد ما حرفه: «صادف ياهو اخوة أحزيا ملك يهوذا فقال لهم من انتم فقالوا نحن اخوة أحزيا انحدرنا لنسلّم على بني الملك » فامر بذبحهم وكانوا اثنين واربعين رجلًا . ونعلم من سفر اخبار الايام الثاني (٢٢: ٨) انهم لم يكونوا بالحقيقة اخوة احزيا بل بني اخوته: « لما كان ياهو يقضي على بيت آحاب وجد رؤساء يهوذا وبني اخوة احزيا الخادمين لأحزيا فقتلهم »

فمن هذه الآيات وغيرها يتضح جليًا ان اللفظة « اخوة » في الكتاب المقدّس وردت بمعنى الاقارب بدرجات متفاوتة في القرابة . وبهذا المعنى ايضاً استُعملت اللفظة « اخوة يسوع » في العهد الجديد اي بمعنى اقارب يسوع . واطلاق اسم الاخوة على الاقارب لا يزال جارياً في ايامنا في انحاء كثيرة من الشرق

***

أبوا المسمين « اخوة يسوع »

والآن نتقدّم خطوةً اخرى ونبيّن مَن هما في الحقيقة ابوا الاربعة الاخوة المسمّين اخوة يسوع . فنقول :

ان الانجيل يذكر اربعة اخوة ليسوع هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣: ٥٥ ومرقس ٦: ٣) . ويقرن دائمًا يعقوب ويوسى معاً ، وسمعان ويهوذا معاً ، وسنبيّن سبب ذلك. فان وجدنا في الانجيل والتاريخ لهؤلاء الاربعة الاخوة ابوين مختلفين عن مريم العذراء ويوسف خطيبها ، نكون اثبتنا ما نريد اثباته من ان الذين يُسمَّون اخوة يسوع واخواته ليسوا الّا اقاربه لا اخوته واخواته بالحقيقة، ونكون ايّدنا معاً بتولية مريم العذراء وبتولية يوسف خطيبها

قال يوحنا في انجيله (١٩: ٢٥) : « كانت واقفة عند صليب يسوع امّه واخت امّه مريم التي لكلوبا ». فنقول ان مريم هذه ، التي هي لكلوبا والتي هي اخت مريم امّ يسوع ، هي والدة الاولاد المسمّين اخوة يسوع ؛ وانّ كلوبا

او حلفى هو ابوهم. والبرهان على ذلك نجده في الاناجيل وفي ما سلم من الضياع من تاريخ هجزيب

ورد في الانجيل: «مريم ام يعقوب» (لوقا ٢٤: ١٠) «مريم ام يعقوب ويوسى» (متى ٢٧: ٥٦) «مريم ام يعقوب الصغير وام يوسى» (مرقس ١٥: ٤٠). فبقوله «الصغير» اراد ان يميّزه عن يعقوب بن زبدى اخي يوحنا الحبيب

فها قد وجدنا امّاً ليعقوب ويوسى المسمّين، اخوي الرب؛ فأمّهما مريم التي لكلوبا اخت مريم العذراء الواقفة معها عند صليب يسوع

ويؤيد كلام الاناجيل ما ورد في تاريخ هجزيب. نشأ هجزيب في فلسطين في اوائل القرن الثاني للمسيح. ثم وُجد في رومية على عهد البابا أنيسيت (١٥٦— ١٦٧) وأتمّ تدوين معلوماته بالكتابة في ايام البابا إلوثيروس (١٧٥ — ١٨٩) وكان طعن في السنّ. وقد استقصى في الاستعلام عن اقارب المسيح، اذ كان مقيماً في فلسطين، ممن كانوا باقين في قيد الحياة من اقارب المسيح وقد اضطهدهم الامبراطوران دوميسيان وتراجان لانهم من نسل داود الملك. ويُعتبر هجزيب كأب للتاريخ الكنسي. وقد قرّظهُ اوسابيوس المؤرخ، واقتبس بعض المقاطيع من تاريخه الذي فُقد مع توالي الايام والحوادث الا النزر منهُ. ومن ثم فهجزيب هو اعلم من غيره باقارب المسيح فيمكننا ان نعتمد عليهِ ونثق الثقة التامة بما كتب

فهجزيب هذا، اذ يذكر سمعان ويعقوب اخوي الرب، يسمّيهما ابني عم الرب. واليك تعريب عبارته اليونانية: «يعقوب الملقّب الصدّيق بعد ان استشهد مثل الرب وبسبب تعليمه الحقيقة ذاتها أُقيم اخوه سمعان بن كلوبا عمّ الرب خلفاً له باتفاق الجميع على المناداة به اسقفاً [لاورشليم] لانهُ هو ايضاً ابن عمّ آخر للرب» (١ فترى ان هجزيب يسمّي كلوبا عمّ الرب وان سمعان هو ابن كلوبا وان يعقوب وسمعان هما اخوان وابنا عمّ الرب. وفي بدء مقالتهِ نرى هجزيب يسمّي يعقوب «أخا الرب» (٢ متّبعاً في ذلك مثال كتبة العهد الجديد فيستعمل اللفظتين «الاخ» و «ابن العم» على الترادف. فيعتبر لفظة الاخ مرادفة لابن العم

١) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣٢١

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣٠٨

ولفظة ابن العم مرادفة للاخ . وقال ايضاً هجزيب (١ ان مريم التي لكلوبا ولدت سمعان. ونعرف من الانجيل ان مريم التي لكلوبا هي ايضاً « امّ يعقوب ويوسي ». فترى ايها القارئ ان مريم التي لكلوبا هي امّ يعقوب ويوسي وسمعان

بقي علينا ان نبحث عن ابوي الاخ الرابع يهوذا . فيهوذا هذا في بدء رسالتهِ يصرّح بانهُ اخو يعقوب: « من يهوذا عبد يسوع المسيح واخي يعقوب » (يهوذا ١). ذكرَ يعقوب لشهرته لانه كان اول اسقف على اورشليم. فاذاً يهوذا هو ايضاً ابن عمّ الرب وابن مريم التي لكلوبا. وقد قال عنهُ هجزيب(٢: « يهوذا المسمَّى اخا الرب بحسب الجسد ». فلو كان يهوذا اخا الرب حقيقةً لما كان من معنى للفظة « المسمَّى » بل كانت لغواً . فلم يكن اخا الرب حقيقةً بل من اقاربه. اما قوله «بحسب الجسد» فلكي يميّز تلميذ الرب وقريبه من سائر التلاميذ الذين هم اخوة الرب بالروح فقط لا بالقرابة . كما قال السيد المسيح لمريم المجدلية (يوحنا ٢٠: ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ »

فملخص القول هو ان يوسف البتول واخوه كلوبا تزوّجا اختين تسمَّيان كلتاهما مريم،(٣على فرض ان مريم التي لكلوبا هي شقيقة مريم العذراء.)فعاش يوسف مع خطيبته مريم العذراء متبتلين. اما كلوبا فانه اولد اربعة بنين وثلاث بنات (٤ وهؤلاء السبعة هم اولاد كلوبا عم يسوع وأبناء خالتهِ مريم اخت مريم العذراء. فلا عجب ان يُسمَّوا اخوة واخوات يسوع بسبب القرابة المزدوجة من قِبل الاب والامّ.

ولدينا رأي آخر نراه اصحّ ممَّا تقدم وسنبيّنه في العدد القادم

١) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٧

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٦

٣) ليس من الغريب ان اختين في العائلة الواحدة تُسميان باسم مريم . وكان هذا الاسم شائعاً عند اليهود . ففي آية واحدة من انجيل يوحنا (١٩: ٢٥) تذكر ثلاث نسوة باسم مريم: مريم ام يسوع ، ومريم التي لكلوبا، ومريم المجدلية. وكان لهيرودس الكبير ابنان باسم فيلبس وابنان باسم هيرودس وابنان باسم فاسايل . وكان لاوكتافي اخت اوغسطوس قيصر اربع بنات اثنتان منهنَّ تُسمَّيان مرسلّا واثنتان انطونيا ٤) ان الانجيل يقول « اخواته » بصيغة الجمع . وهذه الصيغة تستلزم على الاقل ثلاث بنات

نظرة في تاريخ يافا

بقلم حضرة الاب ا· س· مرمرجي الدومنيكي
استاذ المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

١

يافا مدينة من المدن الفلسطينيَّة · فتأريخها مرتبط غاية الارتباط بتاريخ هذه البلاد العام ، واحقاب تاريخ هذا الثغر ، هي عين الاحقاب التي مرت بها فلسطين · وما يقال من باب الاطلاق عن عامة المدن الفلسطينيَّة ، يقال من باب الحصر عن يافا · لانها كانت بمنزلة معبر بين البلاد المختلفة ، وباباً لفلسطين ، ومدخلًا للقدس · ولذا فشهرتها كانت متصلة غاية الاتصال بشهرة اورشليم·

اسمها

ان اسم يافا ، حسبما حققه علماء الألسُنيَّة السامية ، فنيقي الاصل ، ومعناه : « الجميلة » · وهو اسم منطبق غاية الانطباق على مسماه · فان الجمال قد كان سمة يافا ، على كرور الازمان. · فقبل ٣٢ قرناً ، اشغف بهذا البهاء احد السياح المصريين ، واعجب بما شاهده في ضواحيها من الجنان الفتَّانة · وفي القرون الوسطى دعاها احد الزوَّار : « جمال البحار » · وفي هذه الحقبة الاخيرة قال عنها احد الشعراء الفرنسيين : « انها اطيب مقرّ لمن يتوق الى الراحة بعد العناء »

وقد جاء ذكر هذا الاسم بلفظة « يَاپُو » في قائمة اسماء المدن التي افتتحها طوحتمس الثاني ، فرعون مصر · وكان من السُلالة الثامنة عشرة ، اي من اوائل القرن الخامس عشر ق· م· وهذه القائمة وجدت مكتوبة على جبهة هيكله العظيم في الكرنك · ثم ورد هذا الاسم بصورة « يَاپُوأو » مرتين في رسالات تل العمارنة : اولًا في رسالة « عبد هيا » امير القدس ، الذي استنجد

الفرعون في ساعة الضيق . ثانياً في رسالة « يابيتري » امير يافا وغزة ، على ما يأتي بعضه : « ليسأل الملك سيدي عامله ، ولينظر هل حافظت على باب « خازاتو » (غزة) « ويا ُبوأو » اي يافا . ورسالات العمارنة ، كما لا يخفى على لبيب ، هي قسم من سجلات أمينحوتيب الرابع وسلفه . وهي طائفة مهمّة من التحارير وجه اكثرها امراء فلسطين وسورية الى الفرعون . وقد كتبت باللغة البابلية ، وبالخط المسماري ، في القرن الرابع عشر ق. م. لان هذه اللغة بخطها هذا ، كانت منتشرة في هذه الديار ، بمنزلة لغة رسميّة سياسيّة. ثم وُجد اسم يافا ، في قائمة سنحاريب ملك اشور ، الذي عاش في القرن السابع ق.م. وهذا نصّ ما يتعلق بها : « في اثناء حملتي حاصرت « بيت داكون ، ويا ُبوأو » . اما اليونان ، فعند استيلائهم على البلاد ، بدلوا اسمها فدعوها « جُوبي : Joppe » واليهود سموها « يافو » كما جاء ذلك في سفر يشوع ، وفي سفر الملوك ، واخيراً في سفر المكابيين. واطلق عليها الفرنجة ، منذ عهد الصليبيين ، اسم « جافا : Jaffa » وبقي اسمها عند العرب « يافا » وهو الحالي

موقعها

قد خصّت الطبيعة يافا بفضل جزيل ، بجعل موقعها موقعاً ذا خطورة كبرى . فان المدينة القديمة كانت راكبة على رابية صخرية تعلو نحو ٣٠ متراً عن الحضيض مما كان يسهل معه الإشراف على جميع السهول المجاورة . واما من جهة البحر القائمة على ساحله ، فكانت نحو ٥٠ متراً فوق سطحه . زد على هذا الفضل فضلاً آخراً وهو ان هذه القمّة هي المكان العالي الوحيد على ساحل البحر ، بين الديار المصرية وجبل الكرمل . ومناعة هذا المحل آتية من سلسلة الصخور المنبسطة في اسفلها . وهي بحالها الطبيعية على شبه دائرة ، نشأ منها مرفأ وليد الطبيعة ذاتها . اماً من وراء الربوة ، فترى بقعة خصبة . وخصبها هذا ما هو الا من فضل وجود الرابية القائمة من جهتيها الشماليّة والجنوبيّة ، وقد اضحت لها بمنزلة حاجز يقيها خطر الرمال الكثيرة المنتشرة في غيرها من المواقع الساحلية ، تلك الرمال التي لولاها لتمتّعت هذه البقاع

بالخصب والرغد ، كما يشاهد ذلك في يافا . فان المدينة من هذه الجهة محاطة بالبساتين والرياض الحاوية اشجار البرتقال ، وغيرها من ذوات الاثمار اليانعة ، وقد كانت ولا تزال زينة يافا وعلة شهرتها.

اما مرفأها فانـه ، على ما هو عليه من الضيق والحرج ، كان في غاية الملاءمة للمسافرين ، لوجوده في ملتقى الطرق التي كانت تسير فيهـا قوافل التجار ، وجيوش الفاتحين. ولذا فالقوة الطبيعيّة ، والخطورة الحربية ، والخصب في الاراضي ، كلها مزايا وخواص قد تضامنت فجعلت ليافا موقعاً في غـايـة الخطورة من الوجهة التجارية ، والعسكرية ، اذ لم يكن هناك من جيش يمر في تلك الديار ، الّا ويحسب لهذا المعقل البري والبحري الف حساب.

عصور تاريخها

يافا مدينة من اعرق المدن قدماً . فان نحن صدّقنا مُتخيّلات القـدماء ، رقينا بها الى قبل الطوفان ، او لا اقل من ان نعزوها الى يافث بن نوح الذي يُقـال ، في هذه المتخيّلات او الخرافات ، انهُ بانيها ؛ وذلك لما بين اسمه واسمها من الشبه.

امّا العصور المتقدم الينا تاريخها ، فتعدّ بموجب ازمان الامم التي حكمتها بذات حكمها فلسطين :

١ً : فالعصر الاول عصر الاوائل والمجاهيل ؛ من القرن الاربعين ق . م. الى القرن الخامس والعشرين ق . م.

٢ً : عصر المصريين القدماء ؛ من القرن ٢٥ الى القرن الثامن.

٣ً : عصر الاشوريين والبابليين والفرس ؛ من القرن الثامن الى الرابع.

٤ً : العصر اليوناني اليهودي ؛ من القرن الرابع الى منتصف القرن الاول ق . م.

٥ً : العصر الروماني البوزنطي ؛ من القرن الاول ق . م. الى القرن السابع ب . م.

٦ً : العصر العربي ؛ من القرن السابع الى الحادي عشر ب . م.

٧ً : العصر الفرنجي او الصليبي ؛ من القرن الحادي عشر الى الثالث عشر.

٨ً : العصر المماليكي ؛ من الثالث عشر الى السادس عشر.

٩ً : العصر التركي ؛ من السادس عشر الى بدء العشرين.

١٠ً : العصر الحالي

١ عصر الجاهلية

الظاهر من ابحاث العلماء أن هذه السواحل البحرية لم تؤهل بالبشر الّا نحو الالف الرابع ق. م. وقد كان اول سكانها من سكان المغاور ، اتوها من جهات شرقي الاردن ، احترافاً للصيد . وكان الساحل مقسوماً الى قسمين اولهما القسم الشمالي وهو المدعو في التوراة بوادي صارُون . وثانيهما القسم الجنوبي وهو ما سمي بالبلاد الفلسطينيَّة.

آراء العلماء مختلفة في شأن مهد الساميين ، اي ابناء سام بن نوح ، الذين تفرقوا الى شعوب كثيرة. منهم العرب ، والبابليون الاشوريون ، والارميون ، والكنعانيون ، والفنيقيون ، والعبريون ، والحبشة ، وغيرهم . والرأي الارجح اليوم ، بين ارباب الشأن ، ان مقامهم الاصلي كان بلاد العرب ، منها نزحوا الى جميع البلاد التي نشروا فيها حضارتهم ، وفيها توسعت ، وتباينت السنتهم

ففي الالف الثالث ق. م. ظعن من جزيرة عربة ، نحو هذه الاصقاع ، اقوام من الساميين الرحل . وكان في مقدمتهم الفنيقيون ، والكنعانيون . وعقبهم ، في هجرة اخرى ، غيرهم ، اهمهم العبريون . وآخر نزحة كانت نزحة العرب المسلمين ، اما الفنيقيون فنزلوا سورية ، ولبنان ، واما الكنعانيون ففلسطين.

٢ العصر المصري القديم

كانت بداية هبوط المصريين هذه البلاد في اوائل الالف الثالث ؟ وقد جاؤوها عن طريق جزيرة سيناء . والواضح من المصادر انهُ منذ السُلالة السادسة المصرية ، اي نحو القرن الخامس والعشرين ، شرع الفراعنة ينقلون جنودهم اليها ، بطريق البحر . ولا يستبعد ان يافا ، وهي المرفأ القريب من البرية ، اضحت عصر ذاك ، القاعدة البحرية للمصريين ، في فلسطين . على ان هذا الامر ، مع ما فيه من الخطورة ، لم يأتِ ذكره الّا في عهد طوحتمس الثالث ، من السلالة الثامنة عشرة . كما رأينا عند ذكر اسم يافا.

والذي يُستنتج من رسالات العمارنــة هو ان يافا كانت في القرن الرابع عشر قلعة مهمّة ، ومحط رحال الجيش المصري ، وكان يحكمها حاكم وطني ، باسم ملك مصر .

وفي عهد رعمسيس الثاني ، انقرضت السُلالة التاسعة عشرة . وهذا الزمان هو الــذي يعيّن فيه العلماء خروج الاسرائيليين من مصر . وفي غضون تلك السنين ، عبروا نهر الاردن ، مقبلين الى جنوب فلسطين ، مما مكّنهم برهة من احتلال يافا ، اذ لم يجدوا ادنى مقاومــة من المصريين . والذين نزلوها من اليهود ، كانوا من سبط دان ، على مــا ذكرت التوراة ، الّا انهم ، لعيشهم عيشة البداوة ، لم يــدم زمن حكمهم فيها . ولمّا طردهم الســكان ، اضطروا الى النزول نحو نواحي الشفلة ، او البقاع المنحطة ، الفاصلة جبال اليهودية ، عن سواحل البحر .

الفلسطينيون

في تلك الآونة ، ظهر الفلسطينيون على ابواب يافا . وهم الــذين جاء ذكرهم في كتابات العمارنة ، باسم « پولستي : Pulisti » ، والذين سماهم المصريون : « اقوام البحــار » . امّا اصلهم فمن آسية الصغرى ، اي الاناضول . وسبب نزوحهم الى هذه الديار ، هو انهُ هجم عليهم قبــائل غربيّة ، فاضطروا الى مغادرة البلاد ، فهاجروا مجتازين بسورية ، واتوا فلسطين ، ووجهتهم مصر . الّا ان رعمسيس الثالث ، من اهــل القرن الثــاني عشر ، كسر جيوشهم ، واوقفهم عند الشفلة فاستقروا فيها . فدعيت هذه النواحي الساحلية « فلسطين » باسمهم . وبعد ذلك بزمان ، عمّ هذا الاسم ، كل البلاد المدعوة به . وواصل العبريون محاربة الفلسطينيين مدة طويلة ، وقصدهم من ذلــك ان ينزعوا منهم ديارهم ، ويفتحوا لهم منفــذاً الى البحر ، فلم يفلحوا . ولــما كان العبريون والفلسطينيون في قتال غير منقطع ، كان الفراعنة ينظرون اليهم بعين السرور والاطمئنان ، إذ كانوا يجدون في ذلك من الامان والصيانة لحدود بــلادهم الآسيوية . غير انــهُ لمّا كسرت شوكة الفلسطينيين ، وظهرت من الاشوريين

مطامع في الفتح والتبسّط في جهات الغرب ، وكان ذلك نحو القرن العاشر ق.م. حينئذٍ جاء المصريون يخطبون ودّ العبريين ، وكانت قد نشأت لهم مملكة ، وحاولوا التحالف معهم بمعاهدة ، جرت بالمصاهرة ، تبعاً لعادات تلك الازمان . وهذا كان سبب تزوّج سليمان الملك ببنت فرعون . وكان مهرها معقل جاذَر ؛ وبفضل ذلك ، أجيز لسليمان التصرّف بمرفأ يافا ، حيث كانت ملّاحة حيرام ملك صور ، توصل الارز من لبنان ، لبناء هيكل اورشليم ، كما جاءت اخبار ذلك مفصّلة في التوراة . وقد استعمل سليمان هذا المرفأ غير مرة ، حين كان يرسل كل سنة ، الى حيرام القمح ، والزيت ، والخمر ، عوض ما كان يأتيه منهُ ، من الارز(١) . وحين كان يوفد الرسل ، لاستجلاب الذهب ، من اوفير .

وممّا اشتهر بهِ مرفأ يافا حادث يونان النبي المعروف . اذ انهُ لمّا حاول الهرب من وجه الربّ ، الذي امره بالذهاب للكرازة في نينوى ، قصد يافا ، ومن مرفأها ركب سفينة ، كانت مقلعة الى ترسيس . وغير خاف على احد ما حلّ بهِ من القاء الملّاحين لهُ في اليمّ ، وكيف ابتلعه الحوت ، وبعد ثلاثة ايام قذفه الى الشاطئ .

٣ العصر الاشوري البابلي الفارسي

ممّا جاء في الرُقُم المسمارية أن هدَد نيراري ، ملك اشورية ، احتلّ فلسطين . وكان ذلك في القرن الثامن . ودونك ما ورد مسطّراً في اخبار حروبه :

« احتللتُ پيلستة ، الى حدود البحر العظيم ، بحر مغرب الشمس » (اي المتوسط) . وبعد هذا الملك بزمانٍ ، جاء تغلاتبلاسر ، الى نجدة احاذ ، ملك يهودا . فاحتلّ سورية ، وسار الى فلسطين ، واستولى على مدنها ، وجلا اهلها ، وجلب عوضهم الى هذه البلاد ، اقواماً من بابل ، وارمينية ، وغيرهما . ومن ملوك اشورية سنحاريب الشهير الذي عقب اباه شركينا على سرير

---

١) راجع تفصيل ذلك في مشرق هذه السنة ، ص (٤٩٦–٥٠٢) و (٥٢١–٥٢٧)

الملك . فهو ايضاً اجتاز سورية ، ونزل الساحل ، وقهر المدن ، فسلّمت اليه ، الّا بعضها ، فانها لم تخضع الّا بعد المقاومة . وذلك ظاهر من النصوص المسمارية ، ودونك بعض ما جاء فيها ، في ذا الشأن :

« في اثناء حملتي حاصرت بيت داكون ، ويابو ، وبيت بركا ، وأزرزي ، مدينة صدقيا ، التي لم تسلّم اليّ بسرعة ، فخربتها ، وغنمت غنائم كثيرة »

وبعد سنحاريب ، بقيت فلسطين ، ويافا ضمنها ، في حكم الاشوريين ، الى ان توفي احد كبار ملوكهم ، وهو اشور بانيبال . فعند وفاته ، كان ملكه قد تضعضعت اركانه لكثرة الحروب ، ولطموح شعوب عاهليته الى الاستقلال .

امّا في عهد المملكة البابلية الكبرى الاخيرة ، التي تأسست بعد خراب نينوى ، في القرن السادس ق . م . فدخلت فلسطين في حكم البابليين ، بعد معركة كركميش الشهيرة الواقعة قرب الفرات ، وفيها كانت النصرة لنبوكدنصر الثاني البابلي على المصريين . وفي اواسط القرن الخامس استولى كورش المادي على بابل ؛ وبذا العمل ، دخلت في حوزته جميع البلاد التي كانت خاضعة لها ، وفي جملتها فلسطين ومدنها الساحلية ، وفي عدادها يافا . وفي ذلك الزمان ، اذن كورش لليهود بالعودة الى ديارهم ، فلسطين ، ليبنوا المدينة المقدسة ، وهيكل سليمان ، الذي كان قد هُدم . واباح لهم بان يقطعوا الارز من لبنان . فاعطوا الصوريين والصيداويين ، زيتاً وخمراً ، لكي يأتوا اليهم بالارز ، بطريق البحر ، فينزلوه في يافا ، حسب الاجازة الممنوحة لهم ، من الملك كورش ، كما جاء ذلك مفصّلا في سفر عزرا .

(للبحث صلة)

اللاسلكية

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لم يشهدِ العالَمُ اختراعاً سار في التقدم والانتشار باسرع من التلفون اللاسلكي . كيف لا واكبرُ مراحله قُطعت منذ سني الحرب ، اذ ظهرت منافعه في ساحات القتال : في الارض ، والجوّ ، والبحر . وكانت نهضةٌ تبارى فيها ابنيّة العلمِ فجاوزوا باختراعٍ على اختراع ، وتحسينٍ على تحسين ، حتى خرج ذلك الفن من دائرةِ المختبر ، والمصالح العمومية ، الى المصالح الشخصية ، والرفاهية البيتية . ثم بُنيت في كل عواصم الدول وبلدانها مراكز لنشر الاخبار ، والاغاني ، والقطع الموسيقية ، حبًّا بسعادة الاهلين ، وتشجيعاً لصناعةِ التلفون اللاسلكي . فقامت المعامل تعمل مراكز القبول (postes récepteurs) وبها يتسنَّى لكل فردٍ سماع ما يُنشر من الحوادث ، قريباً كان ام بعيداً .

وقد كانت المزاحمة التجارية سبباً للتقدم ، فهبَّ مهندسو تلك المعامل يشحذون قرائحهم لايجاد ما لم يتوصل اليهِ غيرهم من قوة الصوت وجلائه . ومنهم من لم يهملِ المنظرَ الخارجي ، وهو جلّابٌ للزبونِ ، خلّابٌ ، فجاءت آلاتهم غايةً في الجمال والذوق تتزيَّن بها بُهُوُ الملوكِ والامراء .

وصدرت مجلات خصوصية للاسلكية مشحونةً بالاعلانات ، والمقالات العلمية ، يرمي اكثرها الى تعميم اسرار التلفون بين افرادِ الشعب ، فاخذت تنشر رسوماً وتراكيب تُسهِّل للقارئ عمل آلته بنفسهِ مقابل بعض دريهمات . وهذه الطريقة هي التي عمَّمت استعمال التلفون اللاسلكي في البيوت ، خصوصاً في المدن الكبرى حيث تنشر الاخبار والاغاني ليلياً . ومن العجب ان تكون

العامّة من الشعب اشدّ تهافتاً على هذا اللهو من غيرها . فكم من مرّة طرق اذنيَّ هذا الحديث بين عاملٍ وآخر : سمعتُ لندرة ، امسِ ، يا صاحِ ، بقوةٍ نادرة — حسنٌ ! امّا انا فلم اتهِ بعدُ من تركيب مركزي ، غير انني اؤمل سماعَ برلين بهِ متى تمّ . . . .

تقدّم التلفون اللاسلكي . انّما استعماله في بلادنا لا يزال قليلاً ، رغمَ ما يرمي اليهِ نخبةٌ من الوطنيين ، من انشاء مركزٍ باعث في بيروت ، يبعث بالاخبار الى ما وراء حدودِ سورية ولبنان . لذلك احببنا ان نكتب في «المشرق» الاغر كلمةً عن هذا الفنّ منذُ نشأتهِ الى اليوم فنقول :

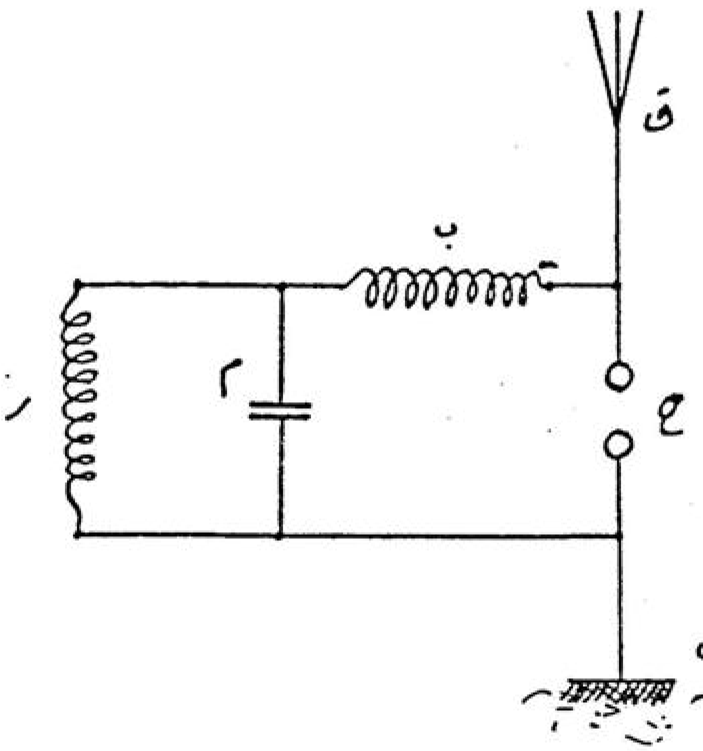
إنّ فن اللاسلكية مرتكزٌ على نوع من التموّجات الكهربائية - المغنطيّة تُعرف بتموّجات هرتز (Hertz) اعترافاً بفضل مكتشفها العالِم الالماني . وهذه التموّجات تسيرُ في الهواء ، غير عابثةٍ بما تجده من الحواجز — الّا المعدنيّة منها — حتى اذا وجدت في طريقها قابلاً كهربائياً أثّرت فيه . وهي اشبهُ بتموجات الماء على وجه بحيرةٍ راكدة ، اذا رُمي في وسطها حجرٌ . فسقوطُ الحجر في الماء يكوّن تموّجاتٍ دورية تمتدُّ رويداً رويداً حتى تضمحل . امّا تموّجات هرتز فسرعتها تفوقُ سرعة تموّجات الماء اي انها تمتدُّ كتموجات النور ، والاشعّة البنفسجية ، واشعّة رنتجن ، بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية . ولها شبهٌ عظيم بتلك التموّجات من حيث الانعكاس والانكسار انما ما يفرقها طبيعيّاً هو طولها ، والطول عكس التكرار(١) . فبينا نرى تموّجات اشعة رنتجن لا تبلغ طولاً خمسة من مليون من مليون من المليمتر نرى تموّجات هرتز المستعملة في الفن اللاسلكي تتراوح بين المتر الواحد والثلاثة والعشرين كيلومتراً .

كانت تولّد تموّجات هرتز بشرارةٍ تقدحُ في قدّاحة مركبة من كرتين متقابلتين موصولتين بمُكثِّفٍ (condensateur) وينبوع كهربائي متقطِّع كما في الرسم ١ . فعندما يسير المجرى ، يرتفع توتّر المكثِّف حتى اذا بلغ حدّاً ما انقدحت شرارةٌ بين الكرتين فارسلت في الهواء سرباً من التموجات . وتكرارُ العملية تابع لتقطع المجرى او تكراره اذا كان المجرى متناوباً . فلو

١) التكرار في الثانية يساوي $\frac{\text{٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠}}{\text{طول التموّجات (بالمتر)}}$

استعملنا مفتاحاً تلغرافياً (manipulateur) قبل المكثِّف ، وارسلنا التموجات حسب نمط مورس المعروف ، لكان التلغراف اللاسلكي . وهذه الطريقة ابتدائية اتينا بها لافهام النظرية .

لم يجد هرتز اختراعه الّا عفواً اثناء ابحاثه في مختبره سنة ١٨٨٥ . ومما يروى عنهُ انه عُيِّن في تلك السنة ، استاذاً للطبيعيات في جامعة كارليش في المانيا وهو لم يبلغ العقد الثالث من



الرسم ١ : باعث هرتز

ر : بكرة رومبكروف او مولّدة كهربائية لمجرى متقطع

م : مكثّف

ب : بكرة كهربائية : شريط باعث

ح : قداحة مولدة للتموجات المرتزية

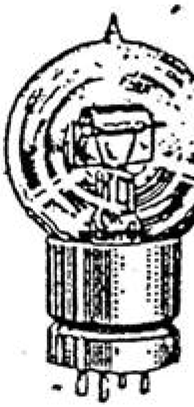
ص : الارض

عمره . فلمّا عثر على اختراعه ، وقصد التعمّق فيه ، كتب على باب المدرسة — دون استئذان رؤسائه — انه لا يرجع الّا لخمسة عشر يوماً من تاريخه . واحتبس في مختبره ليلَ نهار حتى اتى على نتائج جليلة . فلمّا عاد الى اعطاء دروسه اخبر تلاميذهُ بالامر وكرَّر امامهم شيئاً من اختباراته فهنأوه . وعرف رؤساؤه فغضُّوا الطرف عن عصيانه

ثمَّ قام الاستاذ الروسي پوپوف فزادَ على جهاز هرتز اسلاكاً تطلع في الجوّ موصولة باحدى كُرتي القداحة ، والكرة الثانية ذات اتصالية بالارض كما في الرسم السابق ، وقد مكَّنتهُ تلك الطريقة من بناء مركز باعث سُمعَ على مسافة ستة كيلومترات .

وعقبه العالم الايطالي ماركوني ، وكان لم يزل شاباً ، فصنع سنة ١٨٩٩ مركزاً

للنشر سُمع من ضفّةٍ الى أخرى من بحر المانش على بعد عشرين كيلومترًا . وقد اعتمد ، في بناء مركزه هذا ، على مقتضِب (détecteur) الاستاذ برانلي الفرنساوي . والمقتضب هذا آلةٌ كان لا بدَّ منها في مركز القبول ، اذ تُحوِّل التموجات الكثيرة التكرار ، التي يجمعها الشريط القابل ، الى مجرى مستمر يؤثر في الآلة التلغرافية . وعُرف بعدئذٍ انَّ معدن كبريت الرصاص، ويسمى بالفرنسية (galène) ، يعملُ عمل مقتضِب برانلي اذا اتَّصل به إبرةٌ من البلاتين او غيره . ثم تقدَّم فن اللاسلكية، خصوصاً منذ وجدت القناديل المعروفة بالقناديل المثلَّثة الشبكات (lampes à trois électrodes) حتى لم يعد لمقتضِب برانلي ولغيره سوى اثر تاريخي ، على انهُ لا يجب ان ينسى العالم فضل هذا الرجل الذي لولاه لما تمكن زميله من تحقيق امنيَّتهِ . والاستاذ برانلي ، اليوم ، شيخٌ جليل قضى حياته في خدمة الدين والعلم ولا يزال استاذًا في المعهد الكاثوليكي في باريس . وقد اسعدني الحظ بزيارته ، اثناء وجودي في العاصمة الفرنسية ، فاراني غرفة صغيرة اجرى فيها اختباراته ، اذ ذاك ، عن المقتضِب . وكان مركز البعث في المختبر ومركز القبول في غرفة اخرى من المعهد ، على الزاوية ، تبعد اكثر من مئة متر عن الاولى . . .

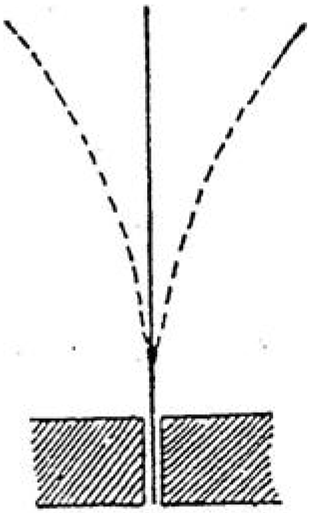


الرسم ٢
قنديل مثلَّث الشبكات

***

لم تشتهر قدَّاحة هرتز الَّا زمناً ثم استعاضوا عنها بالشهاب الكهربائي ، ثم بمولِّدة كهربائية لمجرى سريع التكرار (alternateur haute fréquence) وبعده بالقناديل المثلثة الشبكات . ذلك لان الشرارة في القداحة لا تعطي الَّا تموجات مائلة (ondes amorties) اي قوية في البدء ثم خفيفة ، وهي اقل صلاحية من التموجات المستوية (ondes entretenues) التي يعطيها الشهاب الكهربائي وغيره من الآلات المنوّه بها . امَّا اليوم فلا يُستعمل في مراكز النشر سوى القنديل للقوات الصغيرة ، والمولدة الكهربائية للقوات العظيمة وهذه المولدة لمجرى سريع التكرار لم تُحقَّق نهائيًا الَّا سنة ١٩١٠ بهمة

الاميركي الكسندرسون ، نظرًا لما اعترض ذلك الاختراع من صعوبات فنيَّة منها كهربائية ومنها حيلية . كيف لا وسرعة هذه المولدة ١٠٠٠٠ دورة في الدقيقة وتكرار مجراها ١٥٠٠٠ مرة في الثانية !..



الرسم ٣ .

وهنا لا بدَّ لنا من ذكر بعض قواعد السمعيّات وهي انَّ الصوت هو اهتزازٌ في الاجسام ، ينقلهُ الى الاذن تموّج ينشأ عن ذلك الاهتزاز في الهواء. فلو اثبتنا ريشة معدنية في خشبة، كما في الرسم ٣ ، ونقرنا على رأسها لاهتزَّت وسُمع لها صوت يزيد علوه بزيادة اهتزاز الريشة . ولا يُسمع من الاصوات الَّا ما قلَّ اهتزازه او تكرارُه عن الست عشرة هزة في الثانية وما زاد عن الثلاثة آلاف وهذه الاحوال تابعة للسنّ والاشخاص . امَّا الاصوات الموسيقية في المعزف فتتراوح بين ٢٧ هزة لطبقة لا ٢ (la^2) و ٣٤٨٠ لطبقة لا ٦ (la^6) لذلك فكثيرًا ما يحصرون السلّم الاهتزازي للصوت البشري ، وباقي الاصوات الموسيقية ، بين مائة وخمسة آلاف هزة في الثانية. ولهذا اهمية كبرى في التلفون اللاسلكي كما سترى

الصوت اهتزاز في الاجسام

المركز الباعث

مرَّ بنا انَّ مركز البعث متوقفٌ على ارسال التموجات الهرتزية في الهواء بواسطة شريط يصعد في الجو عموديًا ، او يمتدُّ أفقيًا على اعمدة عالية . ونسمِّي ذلك بالشريط الباعث وبالفرنسية (antenne d'émission) .

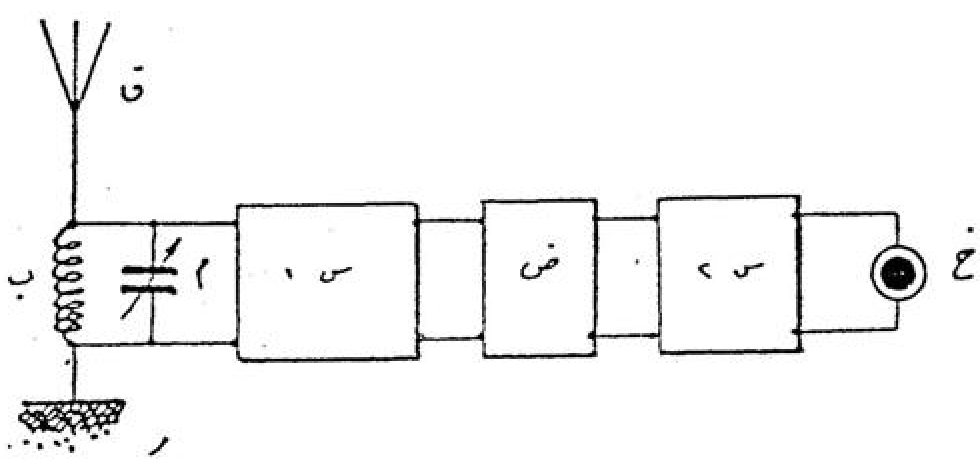
تولد هذه التموجات من مجموع مكثف وبكرة كهربائية (bobine de self induction) موصول بمولدة كهربائية او قنديل مثلث الشبكات . ومجموع البكرة والمكثف ذو اهمية كبرى في الفن اللاسلكي فيُدعى الهزّاز (circuit oscillant) اذ باهتزازه ترسل التموجات وبه يُعدل طولها

فاذا استعمل المركز للتلغراف يُكتفى بمفتاح يرسل التموجات متقطعة

حسب نمطٍ معروف . وان قُصدَ التلفون ، اي نشر الكلام والموسيقى ، عُمد الى جهاز مخصوص يُعرف بالمُلحّن (modulateur) . والملحن هذا يمزج الهزات الصوتية الناتجة عن الكلام او الموسيقى المنوي نشرها ، بالتموجات المرئية التي يولدها المركز ، فتحملها هذه في الهواء الى مراكز القبول .

المركز القابل

امّا مركز القبول فعماده شريط قابل (antenne de reception) يجمع التموجات المنتشرة فيسير بها الى الهزاز وهو كبوّاب لا يُدخل منها الّا ما وافقه تكراره . فاذا دخلت مرت بموسّع سريع التكرار فيضخّمها (amplificateur haute fréquence) ، ثم بمقتضِب ، وبعده بموسّع ثانٍ خفيف التكرار (amplificateur basse fréquence) حتى تخرج في المضخّم (haut parleur) فتُسمع . وقد مثلنا ذلك المجموع في رسم هندسي ٤ يسهل فهمه .



الرسم ٤ : مركز قابل

ق : شريط قابل
ب : بكرة كهربائية
م : مكثف
ر : الارض
س ١ : موسّع سريع التكرار
ض : مقتضب
س ٢ : موسّع خفيف التكرار
خ : مضخّم للصوت

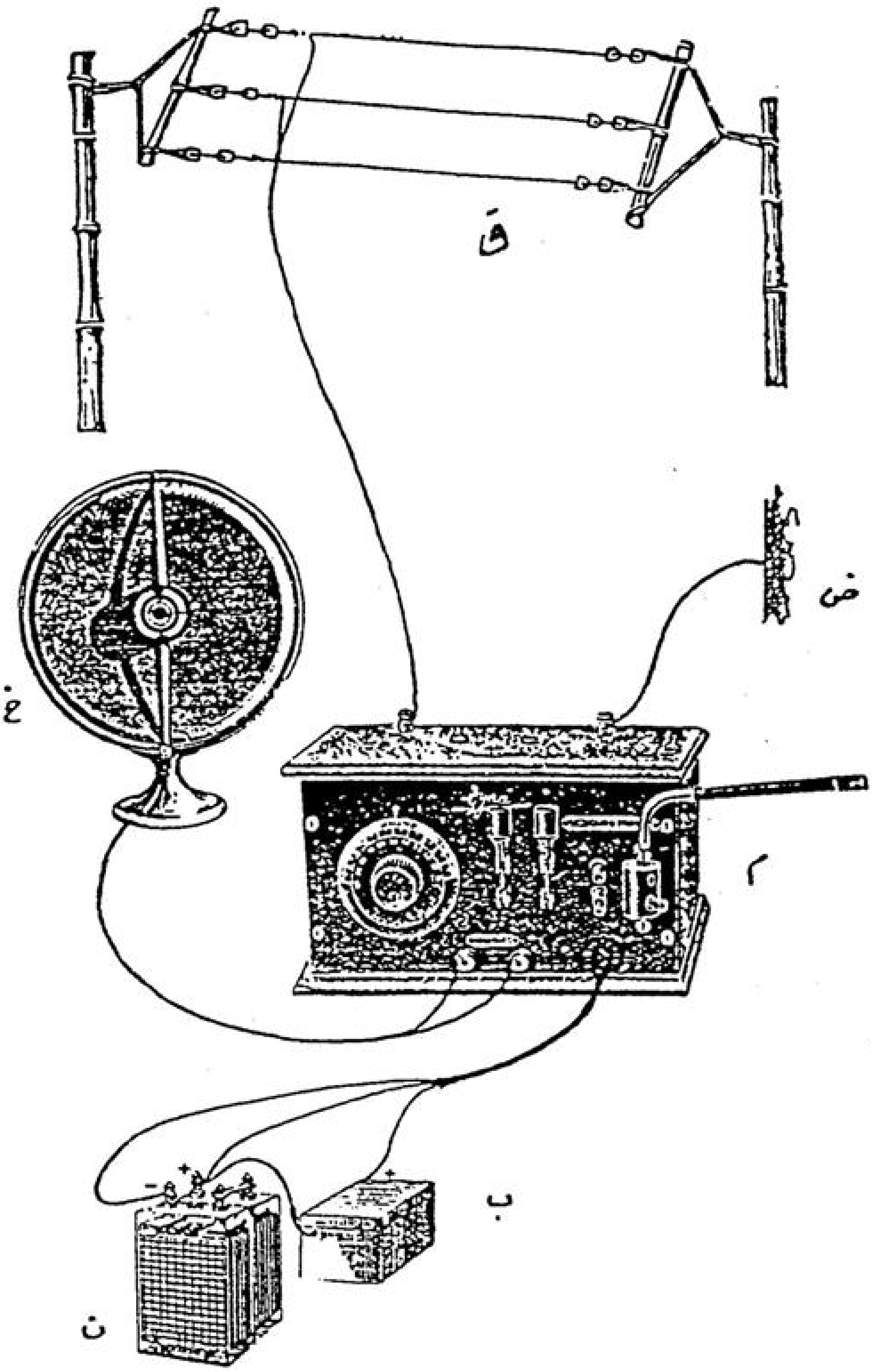
والقابل شريط يُمدُّ في الهواء على اعمدة من الخشب او القصب او الحديد

بشرط ان يكون مفصولًا عنها كهربائياً بواسطة بكرات زجاجية او برسلانية يُعقل بها كما في الرسم ٥ . اما طول هذا الشريط او علوه فيزداد ببعد المركز القابل عن المركز الباعث ، غير انهُ اليوم كثيرًا ما يُستعاض عنهُ بقابل صغير الحجم ، يُحمل داخل المنزل ، وهو اطارٌ خشبي (cadre) لُفَّت عليهِ دورات من الشريط (انظر الرسم ٦)

والهزّاز يُعدّل بتغيير عدد لفيفات (spires) البكرة او قوة المكثِّف او الاثنين معاً . اما الآلة الموسعة فمركبة من قنديل او اكثر وهي توسع بتكرار سريع او خفيف . والقناديل تعمل ايضاً عملية الاقتضاب وكلما زاد عددُها في مركز القبول زادت قوته . لذلك يعبرون عادةً عن قوة المراكز بعدد قناديلها فيقولون : مركز ذو اربعة او خمسة او سبعة قناديل

وربَّ قائل يقول: وكيف لا تختلط مراكز النشر بعضها ببعض ، وعددها كثير ، اي كيف يمكننا سماع باريس دون لندرة ، ولندرة دون برلين ، لانهُ ، كما لا يخفى ، اذا وصلت الى المركز القابل احاديث مركزين مختلفين معاً اختلط الحابل بالنابل وامتنع الافهام . فالسر منحصر في طول التموجات المرسلة اي عدد تكرارها . فلو حسبنا ان تكرار التموجات المستوية في مركز ما هو عشرة آلاف وان الهزات الصوتيــة لا تتجاوز الخمسة آلاف هزة في الثانية ، لوجب ان تكون تموّجات المراكز الباعثة الاخرى اكثر من ١٠٠٠٠+ ٥٠٠٠ = ١٥٠٠٠ هزة ، او اقل من ١٠٠٠٠ — ٥٠٠٠ = ٥٠٠٠ هزة حتى يمتنع الاختلاط . لذلك فكل مركز من مراكز العالم يشتغل على تموجات محدودة تكرارًا او طولًا . فان مركز راديو - باريس مثلًا ينشر اخباره بتموجات ١٧٥٠ مترًا مما يعادل ١٧١ الف هزة في الثانية ، بينما يرسلها برج ايفل بطول ٢٦٥٠ مترًا اي بتكرار ١١٣ الف هزة .

يُستنتج مما سبق أن لا اختلاط من جهة المراكز المرسلة . بقي علينا ان نبحث كيف يتمكن الافراد من سماع مركز دون غيره . يكفي لذلك ان يُعدَّل الهزاز كي يهتزّ لتموّجات المركز المطلوب دون سواها . وبعده يصير تخفيض الصوت او تقويته بواسطة القناديل الموسّعة . وتُجرى هذه الحركات



الرسم ٥ : صورة لمجموع مركز قابل

ق : شريط قابل ممدود في الهواء.

م : المركز

ن : خزان ٤ فولت

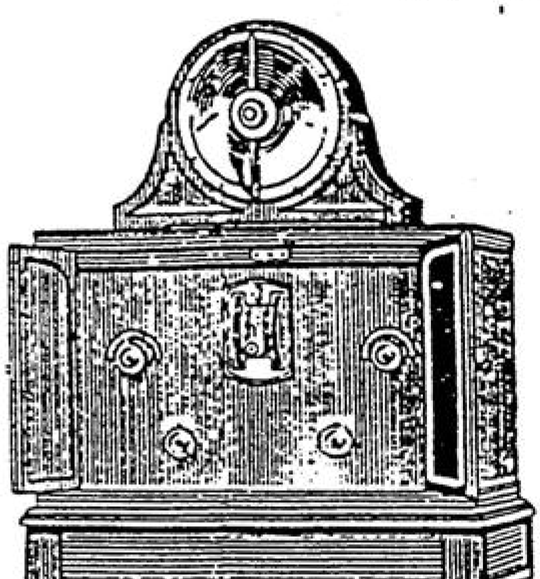
ض : الارض

خ : مضخم الصوت

ب : بطارية ٨٠ فولت

غالباً بان تبرم زراً او ازراراً موجودة خارج الآلة كما يرى في الرسمين ٥ و٦ . اما الخزّان وتوتّره ٤ ڤولت والبطارية ٨٠ ڤولت فلازمان لاعطاء القوة الكافية للقناديل .

ولا يحسب القارئ انهُ يمكن سماع اي بلدٍ كان بأية آلةٍ كانت . فكلما بعدت المسافة صعُب القبول او استلزم تركيباً خاصاً . فالآلة ذات السبعة قناديل ماركة « راديولا » الشهيرة لا تعطي من بيروت ، في المضخِّم ، اي بصوت عالٍ ، لا باريس ولا لندرة بل تُسمِع مراكز القسطنطينيّة وموسكو وڤينَّة في النمسة ، واحياناً تولوز في فرنسة ؛ وربَّما يقيِّض لنا المستقبل ان نرى ادوات تسمح بقبول ابعد البلدان .



الرسم ٦

مجموع مركز قابل «راديولا » ذي ٧ قناديل

ق : اطار قابل م : مركز قابل

خ : مضخِّم للصوت

اتكلم الآن عن التلفون اي عن سماع الكلام والموسيقى بصوت واضح جلي . اما من جهة التلغراف فالامر في غاية السهولة ، غير انها مسألة تهمّ الحكومات والشركات اكثر من الافراد .

اما ثمن الجيِّد من المراكز القابلة فلا يزال غالياً نظراً لاتقان صنعها داخلاً وخارجاً . واننا تنبيهاً للافكار نعطي ادناه اسعار مراكز راديولا الشهيرة :

مركز ذو خمسة قناديل كامل مع مضخِّم للصوت وخزّان ٤ ڤولت وبطاريتين ٤٠ ڤولت ٢١٣٠ فرنك

مركز ذو سبعة قناديل مع اللوازم السابقة ٤٨٩٠ فرنك

ولا بدَّ من القول ان الـذين يشترون تلك المراكز قليلون ، اكثرهم من اصحاب الثروة. امَّا الاكثرية الباقية فتكتفي بمراكز صغيرة ، ذات قنديلين او ثلاثة ، تسمح بالقبول لمئتي كيلومتر ونيف . وعشّاق اللاسلكية يبنون مراكزهم بانفسهم حسب الرسوم والتعليمات التي تنشرها مجلات التلفون اللاسلكي ولهم في ذلك لذةٌ خصوصية ، فتراهم يجربون اليوم ما عملوه بالامس مختبرين هكذا مفاعيل تراكيب شتى

هل تؤثر الايام والاحوال الجوية في حسن القبول

سؤال خطير اجبنا الجواب عليه فنقول: اذا كنت على مقربة من الوسط الباعث ، فيمكنك القبول بجلاء ووضوح ، لا فرق كان ذلك في الصيف او في الشتاء ، ايام الزوابع او في صفاء الجو . امَّا اذا كنت بعيدًا عن مركز النشر فقد تمتزج تموجات دخيلة (ondes parasites) بالتموجات المرسلة فتحدث في المضخم ضوضاء وصفيرًا يعكران صفوَ الكلام ويدهشان آذان السامعين . والتموجات الدخيلة لا يمكن فرزها تماما ، مهما أتقن عمل المركز القابل ، انما جهود الفنيين متواصلة لتخفيف عملها . فهي اذًا ممقوتة من محبي اللاسلكيــة وهي اكثر انتشارًا في الصيف منها في الشتاء في جهاتنا .

ويكاد لا يخلو من شرها من كانوا على مقربــة من المركز الباعث ، اذا وجد بقربهم خط « تراموای » او آلات كهربائية . فلمَّا كنت في باريس ، العام الماضي ، جرَّني الولع الى ان ابني بنفسي مركزًا صغيرًا لقبول الاخبـار اللاسلكية . فاشتريت ما احتجتُ اليهِ من القطع وركبتها بجبرٍ واتقان فجاء المركز لطيفًا انيقًا . وكنت ارمي الى سماع مراكز النشر في باريس وعددها كثير ، منها مركز راديو باريس ، ومدرسة البوسطة والتلغراف ، وبرج ايفل . غير انني لم احسب حساب جار مزعج لي ، وهو مصعاد (ascenseur) جُعل في فندق قربي ليسهّل على الزبائن صعود اللولب . وكان يرفع هذا المصعاد محركٌ كهربائي يدور بان تضغط على زرٍّ في الآلة الرافعة . وكانت مراكز العاصمة

تنشر اخبارها واغانيها من الساعة الثامنة مساء، حتى العاشرة او بعدها. وكثيراً ما وافق ذلك، في الفندق، حركة ذهاب واياب غريبة بسبب قدوم الزبائن من المطعم واحداً واحداً او خروجهم للسهر في المسارح وبيوت السينما. فكان كلما قدم زبون وكبس على زر المصعاد سمعتُ في آلتي، عوضاً عن الكلام العذب والاصوات الشجية، صريراً وصفيراً يدومان الى ان يصل المصعاد الى اعلى السلَّم. ثم تعود الضجة عندما يكبس الزبون على الزر ثانيةً، من اعلى، ليُعيد المصعاد الى اسفل اللولب. وسبب تلك الضوضاء الشرارات النارية التي تولد من الفحم، في بعض المحركات الكهربائية، فاذا تطايرت بعثت في الفضاء نوعاً من التموجات الهرتزية المضرة—وقد سميناها بالدخيلة—فدخلت على المركز القابل فاعلةً مفعولها. وكنت اسمع الضجة نفسها عندما يمر في الشارع الترامواي الكهربائي بسبب الشرارة التي تُقدح احياناً بين البكرة والسلك الذي تحتك به.

كلّ ذلك مزعجٌ للجالس امام آلة يتّبع خطاباً، او يسمع الحاناً، غير ان تلك التموجات الدخيلة قليلة في المدن الكبرى قرب مراكز النشر، وفي ذلك لمحبي اللاسلكية تعزية وافرة... (للبحث صلة)

تنازع الاسقفية في انطاكية (٣٦٢–٣٩٢)

بقلم الاب غوستاف نيرون استاذ الفلسفة في كلية القديس يوسف

٢

وفي سنة ٣٧٩ مات القديس باسيليوس، وكان قد سبقهُ الى القبر بايام قليلة ڤالنتا، الذي خلَّف على العرش ثاوضوسيوس فكانت احوال الشرق موشكة ان تدخل في طور جديد، اذ ان الامبراطور الجديد، وهو المثال الحي للملك المسيحي، مال بكليته الى معتقد نيقية. فقضى من ثمَّ على الاضطهاد الاريوسي وآن للكنيسة ان تتنفس الصعداء. وبعد مضي يومين من دخول ثاوضوسيوس الى القسطنطينية، نُزعت كنائس المدينة من ايدي الاريوسيين،

وارجعت للكاثوليك . واخذوا بعدئذٍ يهيئون التئام مجمع عام غايته الاولى اشهار ايمان نيقية احتفالياً ، وحسم المخاصمات الاريوسية حسماً نهائياً . فعقد سنة ٣٨١ وهو اول مجمع قسطنطيني . اما حق الترؤس فيه فكان بلا جدال للقديس ملاتيوس ، اذ كان هو الاسقف الاكثر شهرة في الشرق كله بيد انهُ لم يُدرهُ طويلاً اذ وافاهُ الموت بعد ايام قلائل .

فهذا الحادث الذي لم يكن في حساب احد ، فتح السبيل الى حلٍّ مرضي لمشكل شقاق انطاكية . وبما انهُ لم يبقَ من الاسقفين الّا واحد فقط ، كان على أتباع ملاتيوس ان يقبلوا بولينوس خلفاً لهُ وهكذا يتلاشى الشقاق . وذاك كان الحل الذي نادت بهِ رومية

***

كانت تلك الفكرة الحكمة بعينها . غير ان الخواطر لم تكن بعد مهيأة لقبولها ، لأنَّ الاحبار الشرقيين الملتئمين للمجمع كانوا يرون في بولينوس عدوَّ الامس ، ودخيلاً يحاربونه منذ عشرين سنة . فلكي يقبلوه كان لا بد لهم من تضحية عظيمة وكفر بالذات . ولذا بذل رئيس المجمع الجديد ، القديس غريغوريوس النازيانزي اسقف القسطنطينية ، كل جهده لانجاح هذا المسعى . ولكنه لم يتوفق لانه كان ينقصه ما تقتضيه ادارة مجمع ذي اهواء مختلفة ولاسيما في مثل هذه الآونة العصيبة .

لقد قال حقائق مفيدة لهؤلاء الاحبار الشرقيين ، الذين كانوا بالامس متقلّبين امام اولي السلطان ، وهم اليوم يملؤون ضغائن . ولقد حمل خصوصاً على قلة ثقتهم بالغرب ، منتقداً ، بتهكم قارص ، نظرهم الغريب للايمان بعين تتغير فيها الحقيقة مع تغيّر الامكنة . بيد ان هذه الحدة في اقواله لم تكن واسطة مفيدة لاكتساب العقول واستمالتها الى آرائه ، ولذا لم يُعبأ بتقريعاتهِ ولا ببراهينه .

وفي اثناء ذلك وصل الاسقف تيموتاوس الاسكندري الذي قد يكون قادماً لنصرة غريغوريوس . غير ان هذا الاخير كان مريباً ليس فقط عند انصار ملاتيوس لشدة ميله الى الغرب ، بل عند تيموتاوس ايضاً . فان اسقف

الاسكندرية رفع اعتراضات قانونية على انتخاب غريغوريوس لكرسي القسطنطينية . اما هذا فبلغت السآمة منه مبلغها فتنحى عن كرسيه وعن تروس المجمع ، وانزوى في الخلوة قاضياً حياته بين جميل الاشعار ينظمها في زوال الاشياء العالمية ، وسعادة الحياة التي تقضى كلها في سبيل الله . وفي اثناء ذلك اقام المجمع الكاهن فلابيانوس خلفاً لملاتيوس .

***

كان ذلك الانتخاب غاية ما يتمنى . فان المنتخَب الجديد هو احد اولئك الذين كانوا ، منذ ثلاثين سنة ، يصرفون الهمة الكبرى لتوطيد الايمان الكاثوليكي في انطاكية ، مزدرين بجميع الدسائس التي نصبتها لهم الهرطقة . غير ان الشقاق الذي ظهر هنيهة قريب الاضمحلال ، لم يزل راسخ القدم . وانهُ يُخشى بسبب عدم اتباع مشورة رومية ان يقع خلاف جديد مع الغرب .

اما بولينوس فانه ، بعد ان اعترض على الانتخاب ، توجه الى رومية ليدافع بنفسه عن دعواه فاحدثت فضيلته الكبيرة تأثيرًا حسناً وكان ايرونيموس قد غدا كاتم اسرار البابا داماسيوس فلم يتوانَ عن مناصرته حتى اعترفت رومية انه الاسقف الشرعي الوحيد لانطاكية . وهكذا كلما كانوا يزدادون سيرًا ، كانت الصعوبات تزداد تعقيدًا . اما فلابيانوس الذي انتخب بطريقة قانونية جدًا في مجمع كثير العدد ، متحد مع رومية فكان لهُ ان يقول : انهُ ان لم يعترف به الرومانيون فذلك ناجم عن محض سوء تفاهم . غير ان بولينوس من جهة اخرى ، كان لهُ ان يجيب ان انتخابه مهما كان من امر صحته الاولى فانه غدا صحيحاً منذ اعترف بهِ رئيس الكنيسة .

وفي سنة ٣٨٨ مات بولينوس . ولكن موته لم يضع حدًا للشقاق . فقبل موته كان اتخذ خلفاً لهُ الكاهن ايفاجر فسامه اسقفاً . فلم تسلّم رومية بهذه السيامة بل دعت كلا المتنازعين لرفع دعواهما الى مجمع يتقدّى بطريقة شرعية صاحب الحق . غير ان هذه الفتوى اعترضتها عقبات جديدة ، اذ ان فلابيانوس لم يكن لين الجانب فيذعن لذلك . بل ابى الامتثال لثقته بان حقه اوضح من ان يرى نفسه مضطرًا لمثل هذه المرافعة . فاحدث هذا الرفض في الغرب

تأثيرًا مؤلمًا مما دفع القديس امبروسيوس ، وهو في كرسيه البعيد بميلان ، الى ان يثور من جراء ذلك زاعمًا ان اسقف انطاكية وضع نفسه فوق الشرائع ، ووطد بعناده الانقسام في الكنيسة جماء. خلاصة القول ان الشرقيين والغربيين تعذر عليهم جدًا ان ينظروا الى الامور نظرًا واحدًا . اخيرًا انتهى المشكل بموت ايفاجر دون ان يسمّي خلفًا له . وبعد ايام قلائل ثبّتت رومية فلابيانوس

حينئذٍ لم يطق الشقاق الثبوت طويلًا ، فان الاتحاد آن له ان يتوطـد في كنيسة انطاكية . وامست الاضطرابات التي ادخلها الانقسام قريبة ان تتلاشى. اجل لقد آن الاوان ! فان موضوع الخلاف قد تلاشى الآن او كاد ، ولم يبق مجال الّا لبعض منافسات حقيرة شخصية. اين لنا ان نسمع القديس الذهبي الفم، وهو كاهن شاب بعد منتمٍ لاكليروس ملاتيوس ، يسم بميسم كلامه الحادّ تلك الخسائس والدسائس المقوتة التي مازجت هذه المنازعات.

فان التحزبات العالمية قد مثّلت فيها دورها . فكنت ترى سيدات انطاكية الشريفات ينحزن ، بعضهن لفلابيانوس ، وبعضهن لبولينوس ، مدفوعات باغراض لم يكن للمسائل اللاهوتية ادنى علاقة بها . وقد اتفق اكثر من مرة ان من ارتكب خطيئة ، رجلًا كان او امرأة ، يعمد الى التملّص من التكفير عنها مهددًا بانه ينضوي الى الحزب الآخر . فلم يطق ذاك الخطيب ان يرى الرسوم الكنسية آئلة الى هذا الانحلال واذا به يهتف : « ليذهبن لا يرجعن وليبقين معهم .... اني اتألم من جراء ذلك كما لو قطع احد اعضائي ، بيد انني اتألم اكثر اذا الجأني اتقاء هذا الالم الى اهمال واجباتي ».

فهذه الحالة كانت قريبة الزوال حسن الطالع . غير انه بقي بعض العقبات التي لا بد من تذليلها للبلوغ الى السلام التام ، فالاكليروس الافسطاتي ، مع انه لا رئيس له ، لم يرضَ بالامتثال. على انه يجب الاقرار بان سلوك فلابيانوس على ما به من الاعتدال في مسائل اخرى ، لم يسهل السبيل الى ذلك. فانه كان يعتبر ان جميع اولئك الكهنة سامهم اساقفة غير شرعيين ، ولذلك ابى قبولهم في عدد اكليروسه الخاص . ومن ثم شعر الجميع بمسيس الحاجة للترافع الى حكم اعلى تذعن لكلمته الاحزاب كلها. لقد نظرنا ان رومية في اثناء

هذه المخاصمات لم يبادر كثيرًا الى تلبية صوتها . غير ان من لاحظ عراقيل هذا الموقف المتشابكة ، وما كانت عليه رومية من بُعد المسافة ، والصعوبة في الاستقصاء عن كل شيء ، فهم جيدًا لماذا صادفت التدابير التي اشارت بها مقاومة لم تصدر عن نية سيئة .

على انه اذا قضى الامر اخيرًا بالتروع الى السلام فلرومية وحدها الحقّ ان تفرض الفتوى العادلة الجزيلة العائدة التي توحّد جميع العقول . وهذا ما تم في ايام الكسندروس ، ثاني خلف لفلابيانوس .

منذ بلغ البابا اينوشنسيوس خبر تسقيف هذا ، اعلن انه مستعد للاقرار بالمنتخب الجديد بشرط ان يقبل الكهنة الافسطاتيين في عداد اكليروسه ، ويجري الاتفاق الذي طال انتظاره . فللحال اخذ الكسندروس في العمل وفي سنة ٤١٥ شهدت انطاكية مهرجانًا لا تنساه ، مهرجانًا كما يقول ثاودوريطس الشاهد العياني ، لم يرَ نظيره احد قط . فلنسمعه يصفه لنا : «ان الكسندروس سار في مقدمة شعبه من اكليريكيين وعلمانيين متوجهًا الى مجمع الافسطاتيين فجعلهم في موكبه . فعلت اذ ذاك الترانيم وانشدت الاناشيد باتحاد الاصوات من الباب الغربي الى الكنيسة الكبرى . وان ساحة المدينة الفسيحة كانت غاصة بالرجال فكنت ترى نهرًا من الناس ينساب على جانب نهر العاصي .

« فاليهود ، والاريوسيون ، والقليلون من الوثنيين الباقون في انطاكية ، كانوا امام هذا المشهد يتنهدون ويعولون . اما سائر الانهار فأتت على تلك الصورة تنصب في اوقيانوس الكنيسة .»

***

في نهاية قصة هذا الخصام الطويل جدًا والذي قد نكون اسهبنا في سرده تتبادر بديهيًا الى الذهن بعض اعتبارات . فاننا نرى اولًا ان التفاهم قد تعذّر على الانام الصلاح في كل عصر . واغرب من ذلك تعذره على صميم المؤمنين ابناء الكنيسة الواحدة المقدسة الكاثوليكية . فسيدنا يسوع المسيح في صلاته الاخيرة طلب الى ابيه نعمة الوحدة كسمة خصوصية لتلاميذه الحقيقيين

« ليكونوا باجمعهم واحداً كما نحن واحد .. حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني »

غير انه لم يشأ ان تُحفظ هذه الهبة الالهية ، هبة الوحدة ، من غير جهاد؛ ولهذا لم ينزع من كنيسته اختلاف الاصل والمشرب ، ولا تناقض الاخلاق ؛ وكثيراً ما سمح بظروف مؤلمة جرّت الى الخصام في قلب الجماعة المسيحية نفسها ، في من هم اشد الناس استقامة نية.

فلا نعجبنَّ اذاً ولا نيأسن ، اذا ما رأينا في ايامنا ايضاً عبّاد مسيح واحد وتلاميذ ايمان واحد مختلفي الاصل والتربية ، واحياناً ذوي آراء متناقضة ، يتعذّر عليهم ان يتفقوا حتى تجاه العدوّ المشترك. فان العقبات التي تعترضنا قد اعترضت آباءنا من قبلنا.

لكن لنضف حالاً انهم ايضاً بيّنوا لنا بمثلهم ، السبل لتذليلها . ولعل الطرفين لم يسلما من الخطأ ومن بعض انفعالات قوية جداً ، وتشبُّث مفرط بآرائهم. بيد انهم باجمعهم يعطوننا مثال محبة الوحدة. اجل انهم جميعاً يتعشقون حقاً وحدة الكنيسة ، ولم تحدثهم نفسهم قط بالبقاء منقسمين حتى انه بعد ساعات الغيظ التي تبودل فيها بين شرقيّين وغربيّين اقوال حادة ، كنت تراهم يسعون وراء التقرّب ، ويكثرون من الايضاحات ، واحياناً يحملهم حبهم للاتفاق على ترك ما كانوا يؤيدونه من قبل

اخيراً كلهم علموا ان مركز هذه الوحدة هو رومية . انهم تلكأوا احياناً — وهذا طبيعي في البشر — عن اتباع احكامها حينما كانت هذه الاحكام تناقض آراءهم الخصوصيّة . بيد انه لم تحدثهم نفوسهم قط بالتصرف في الامور دون معاضدة رومية وقبل اعرابها لهم عن رضاها . وعلى هذه الصورة امكنهم ان يتملّصوا من هذا المأزق الكلي الحرَج . فان كان هذا الخلاف الذي طال امده قد انتهى اخيراً بفوز باهر للكنيسة ، واعلان ساطع لوحدتها الجميلة ، فذلك لان هذه الوحدة ، التي احتجبت هنيهة عن العيان ، بقيت دوماً حيّة في قلوب بنيها.

مرافق التعليم عند العرب

على عهد بني امية

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

كانت ايام بني امية بمعظمها ايام حروب وفتوحات ، فلم يتسنَّ فيها للملوك ان يصرفوا همهم الى احياء المعارف وانشاء المدارس ، واستغلال اثار انتصاراتهم بكمالها ، باقتباس العلوم عن الامم المناوبة المتفوّقة عليهم بعمرانها ، كما تمّ ذلك على عهد الدولة العباسية . على انهم لم يهملوا امر التعليم ، ولعلّه كان على ايامهم ارسخ قدماً وامكن بالعروبة منه على ايام بني هاشم المسترشدين بالاعاجم ليسلكوا العرب سبيل النور . لان ما بلغنا عن حالة التدريس ايام الدولة الاموية ، يفيدنا ان الناشئة كانت تتأدّب آنئذٍ بالآداب الجاهلية لقرب عهدها منها ، وكان القرآن بين يديها كتاباً تتعلّمه على اساتذة سذّج ، فتستغني به عن المؤلفات العلمية والفلسفية التي تهذّب عليها العرب فيما بعد ، أخذاً عن السريان واليونان والفرس ؛ وتُكفى بهِ مؤونة الاجتهاد الممل المتعب فلا تتكلف اكثر مما تحتاج اليه في عصر كان العرب ينصرفون فيه عن القلم الى السيف

وان البحث في ذلك الموضوع لطيّب مفيد ، وابواب مدارسنا مفتوحة ، وناشئتنا كبارها وصغارها متزاحمة على موارد التعلم حائمة حولها حوم النحل حول بيوت العسل ، والاهلون يودّعون ابناءهم ويستودعونهم ارباب التثقيف والتهذيب

***

ان هدف التلامذة في طابهم العلوم وكعبة آمالهم اليوم ، هي الشهادة على تنوّع درجاتها ، فتراهم لا يألون جهداً ، ويصلون آناء الليل باطراف النهار كدّاً ، استعداداً لامتحانات ينالون بها ، اذا نجحوا ، لقب «باشيليه او ليسانسيه او دكتور» وهذه هي السعادة التي لا مزيد عليها عندهم لمستزيد

ولم تجهل الشبيبة العربية على ايام بني امية لذة ذلك الانتصار جهلاً تاماً ، فكان الشعراء اذا امتدحوا سيداً اطرأوا صفاته الحسنى وعدوا في مقدمتها صفة العلم . والعالم المتهذب عندهم سموه «الكامل»

قال ابو دهبل في مدحه ابن الازرق : (الاغاني ٦ : ١٦٥ ، ٩)

بابي وامي ، غير قول الباطل ، الكامل ابن الكامل ابن الكامل ؛
والحازم الامر الكريم برأيه ، والواصل الارحام ، وابن الواصل ؛
جمع الرئاسة والسماح كليهما جمع الخبير قداح نبل النابل

ترى ان الشاعر وصف صاحبه بالحزم ، والكرم ، والحنان نحو ذويه وسداد الرأي ، المقرون بالحلم اللائق بالزعماء ، وهذه الخصال والمحاسن الحميدة مجموعة ومتحدة في شخصه جمع السهام في جعبة الرامي . الّا انها دون المزية الشريفة التي ذكرها في مستهل الشعر وأردنها مغالاة وتعظيماً فقال : «الكامل ابن الكامل ابن الكامل»

وما ادراك من هو الكامل ? انه الشاب العربي المتعلم القراءة ، والكتابة ، والرمي ، والسباحة .

قال ابن سعد في كتاب الطبقات (٣ : ٩١ ، ١٠) : «وكان الكامل عندهم في الجاهلية واول الاسلام الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي» ؛ وحبذا الكمال مطمحاً لبصائر الشبيبة . فما اعذبه مورداً وما اقربه منالاً لولا ما يعترض السالك اليه من عقبات تذللت في ايامنا ، لكنها كانت على ايام الجاهلية اكأد من ان يذللها غير الامراء والاعيان . فالرمي امره يسير عندهم ، وهم يرتاضون منذ نعومة أظفارهم في الصيد ، ويجهدون النفس في اصابة الهدف حرصاً على صنعة اشتهر بها جدودهم ، منذ القدم ، والرماة التدمريون ذكرهم في تاريخ الرومان اشهر من نار على علم .

اما العوم او السباحة فأمرها مبهم علينا . اين السباحة واين في بلادهم ما يكفي مواشيهم ومزروعاتهم مؤونة العطش ! كيف السباحة في المدينة ونهر العقيق يسيل اياماً ويجف اشهراً واعواماً ! كيف يعوم ابن آدم في مياه المدينة وليس فيها حياة للسمك ? لان ما رواه الحديث في ذلك الصدد

مردودة روايته . جاء في كتاب الاغاني (٢١ : ٢٧٢)

«خرج رجل من زقاق ابن واقف في المدينة ، بيده ثلاث سمكات قد شق اجوافها وقد خرج شحمها » ثم قال الراوي : « واحسب ان هذا الخبر مصنوع لانه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف ولا بها سمك . ولكن رويتُ ما رُوي»

على ان الامر الذي لا يختلف فيه اثنان هو انتشار الكتابة العربية منذ القرون الميلادية الاولى ، مع رواج حركة الاسفار والتجارة وتواتر المعاهدات بين العرب ومريديهم من الشعوب جيرانهم . ثم ان الاكتشافات الحديثة قد اثبتت ان الخط النسخي على سهولته كان معروفاً منذ القرن الميلادي السادس . فتعلمت الناشئة العربية الخط بعد القراءة وهي في حاجة عظيمة اليه خاصة في المراكز التجارية مثل مكة والمدينة . ولم يكن الامراء بغنى عنهما وديوان العطاء والمال والجباية هو قوام ملكهم واليه مرجع امرهم وكانوا لا يهتمون بشيء اهتمامهم به .

وكانوا يستعملون مختلف المواد من اوراق نباتية او جلود او عظام او اخشاب لرسم الحروف او نقشها ، فتحفظ للخلف آثار السلف . وان من تلك الآثار الشعر الجاهلي وفيه لباب العلوم الجاهلية ، غاية ما بلغ اليه من الرقي الذكاء العربي في تلك الايام . فقد خاض عباب العواطف والخواطر وولج كل باب من ابوابها فوصف وترسّل وتغنّى وتغزل ومدح وهجا ورثى ودوّن الاخبار وضرب الامثال ووضع الحكم وتنافر وتفاخر ، فكان مرجع الاساتذة في تعليم الناشئة .

* * *

ومن البديهي ان مواضيعه لا تصلح كلها على السواء لتثقيف العقول وتهذيب الالباب ، فلا بد من ان يغربلها المعلم ويلتقط منها العواطف النبيلة والمبادي الجليلة التي يودّ كل اب وكل معلم صالح ان يلقي بذرتها في صدر ولده ، فتنمو وتزدهر بالمحاسن والمناقب .

تلك المحاسن كانت ناضرةً جميلة على ايام الجاهلية ، حيث لم يشوّه جمالها مشوّه وهي ارث الجدود ومجدهم الاثيل اعني بها : مراعاة حقوق الجوار ،

واحترام المرأة ، وحفظ العهود ، والصبر على الشدائد ، والمروءة ، والكرم . فقد نبتت في صحراء الجزيرة وارياقها نبات الشجرة في الارض الطيبة وظلت كثيفة الاوراق كثيرة الاثمار بديعة الظلّ طول تمتعها بنور سمائها وصفاء هوائها حتى عبثت بها ايدي الاردياء فذهبت ببهائها

واني لاتصوّر المؤدّب او المعلم موفقاً في جمع شتات تلامـذته الحركين ، فيناديهم فيلتفون حوله كما تلتفّ الفراخ حول الدجاجة ؛ فيستملك اسماعهم وهم بالقرب من اهاليهم وتحت انظارهم ، والمدرسة تعقـد اينما انعقد الجمع حول الاستاذ ؛ فيأخذ بتلاوة اشعار الاقدمين ، واعادة الابيات الواجب حفظهـا : فيشرحها ويترنم بها ويتمادى في التبسط في ذكر ما يقتطف منه ثمرة ادبية لاذّة مفيدة. فان اراد تعليمهم واجب التآلف بين الجيران والاتحاد والمدافعة بعضهم عن بعض ، دفعاً لغارات العدو او توقياً لمكروه ، وصف لهم حالة التائه في الصحراء ، اذا ما دهمه الليل الحالك ، ولا معين لهُ ولا رشيد ، وقد يئس من الحياة واشرف على الموت ؛ لكنه رأى عن بعد نورًا ففزع اليـه من الظلام واستبشر به الخلاص لان صاحب ذلك النور رجل صالح جواد كريم جدير بان يُقتدى به وان يُكثر الله من امثاله . فأنشد او قرأ لتلامذته شعر الحطيئة يمدح بني رياح (١

لنِعْمَ الحيُّ حيُّ بني كليبٍ   اذا ما اوقدوا فوق اليفاع
هم صنعوا لجارهم وليست   يدالخرقاء مثلَ يدِ الصناع

او تغنى بشعر مسـكين الدارمي (٢

ناري ونار الجار واحدةٌ   واليه قبلي تُنزَلُ القدرُ

ومن الآيات البديعة التي كان الاساتذة يتمثلون بها لتهذيب البنين ، وما احوجنا نحن اليها اليوم : حفظ العهود وانجاز الوعود. فيذكرون قول عبيد بن الابرص في قوم مدحهم (٣

كم فيهم من سيد ايـد   ذي نفحاتٍ قائلٍ فاعل

١) راجع ديوان الحطيئة طبعة غولزير ، ص : ١١٩

٢) راجع ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص : ٣٢٨

٣) راجع ZDMG 893, p. 168

من قولهُ قول ، ومن فعله فعل ، ومن نائله نائلُ

واي شعر اشد تأثيرًا في قلب الناشئة واسمى عاطفة من قول السموأل :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ ، فكل رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ، فليس الى حسن الثناء سبيلُ
اذا سيد منّا خلا ، قام سيدٌ قؤول لما قال الكرام ، فعول
وما اخمدت نار لنا دون طارقٍ ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ

وعلى الفتى الشجاع ان يحتمل برباطة جأش وقلب لا يهاب الشدائد ما لا بدّ للانسان من ان يحتمله من نوائب الدهر ، فيتسلّح عليها بالصبر وان الله مع الصابرين

صبرنا وكان الصبر منّا سجيةً باسيافنا يقطعن كفًا ومعصما (١

وما اكرم عاطفة الاحتشام والاحترام التي يلقنها المؤدب تلميذه منبهاً الى واجب كف النظر والتحفظ لئلا يزعج امرأة او فتاة . ذلك ما يذكرنا احترام الافرنج للمرأة ويفسر لنا السبب الذي من اجله كان امر السفور والحجاب غير معروف في الجاهلية

جاء في الكامل للمبرد عن رثاء الخنساء لاخيها (ص ٧٣٧،١٦)

لم تره جارةٌ يمشي بساحتها لريبةٍ ، حين يُخلي بيتهُ الجارُ

وايضاً من اقوال الحطيئة في مديح بني كلب :

لاويحرمُ ستر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع

ومن اقوال مسكين ايضاً :

ما ضرّ لي جارًا اجاوره ألا يكون لبابه سترُ
أعمى ، اذا ما جارتي برزتْ حتى يغيّبَ جارتي الخدرُ

وليس الشعر الجاهلي حافلًا بالمبادي الشريفة والآداب الانسانية الكريمة فقط بل هو مشحون ايضاً بما دوّن فيه الشعراء ، جوّابو البلاد ، مما رأوه ابان رحلاتهم في الشام واليمن وغيرها من الاقطار التي ضربت فيها قوافل العرب . فتعلم هؤلاء الشعراء اموراً كثيرة عن جغرافية البلدان واخلاق سكانها ، ثم عادوا الى الجزيرة ونفخوا معارفهم ببوق شعرهم الرنّان فاسمعوا الاعراب من التعاليم ما هيأهم لنبذ عبادة الاوثان ، والايمان بالله الاوحد . تلك الاسفار

١) راجع شيخو : شعراء النصرانية (ص ٢٣٦)

كان يرددها الاساتذة على تلامذتهم ومنها قول الاعشى في وصفه اسفاره في البلدان (راجع الهمداني: وصف جزيرة العرب: ٢١٤)

وطوّفتُ للمالِ آفاقَها عُمانَ، وحمصَ، وأورَشْلَمْ
أتيت النجاشيَّ في داره، وأرض النَّبِيط، وأرض العَجَمْ
فنجرانَ، فالسردَ من حِمْيَر، فأيَّ مرام له لم أرِمْ
ومن بعد ذاك الى حضرموت، فأوفيت همي وحيناً أهم

واختلط الشعراء في سفراتهم بالنصارى واليهود، وتأثروا بمعتقداتهم واخذوا عنهم كثيراً من الحقائق الدينية وترنموا بها

على ان الشعر كان في نظر بني المسلمين مادةً للمفسدة والفتنة لا تسوغها النفوس المتديّنة، وهو فخ للمؤمنين وملهاة لهم عن تلاوة القرآن. قال الفرزدق لقوم لاموه على فتوره في الدين: «انتم تعرفون سجدة القرآن وانا اعرف سجدة الشعر» (الاغاني ١٤: ٩٨) فكان على المؤدب، في مذهبهم، ان يتقي في تهذيب الصغار ذلك الخطر وان يدربهم على حفظ القرآن

***

لمّا تُلي القرآن على مسامع العرب اخذ الصحابة يستظهرون آياته، ويدونونها في المخطوطات من جلود او اوراق نخل او قطع خشب او عظام ولم يكن امر كتابتها باليسير لما كان عليه فن الكتابة من الانتشار في مكة، كما قلنا سابقاً، فضلاً عن ان احدى نساء محمّد حافظة ام كلثوم كانت تفقه القراءة والكتابة. فمن المعقول ان محمّداً استعان بقلمها على كتابة الآيات المنزلة. وما لم يُكتب ويُحفظ من تلك الآيات على حياة محمّد وضاع في الناس فانهم لم يأسفوا عليه وقد جاء في القرآن ان «ما ننسخ من آية او ننسها نأتِ بخير منها»

ولكن لما قبض محمد، نهض نُغير الصحابة، واخصهم ابو بكر وعثمان، فعنوا بجمع القرآن ونشره فاصبحت آياته مرجعاً لعامتهم ولخاصتهم، وهو دستور الحكم واساس الشرع عندهم

فكان من الضروري والحالة هذه ان يحفظ صاحب الدولة فيهم ما جاء في القرآن، فيصبح اشبه بالمحامي المتمكن من معرفة نصوص الشرع، المجابه

بها خصمه ؛ وان اقوى المحامين اتقنهم لعلم الحقوق . فكان اذن اعظم الامراء واغلبهم احفظهم للآيات القرآنية . فمن ثم كان درسها وشرحها واستظهارها محتماً عليهم منذ نعومة اظفارهم . ومن رائع ما رواه الطبري شاهداً على صدق كلامنا ، قوله : (٢: ٣٧٦-٣٧٧)

«لما جلس يزيد بن معاوية دعا اشراف اهل الشام فاجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون فقال يزيد لعلي : يا علي ابوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت ، فقال علي (١: « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها » فقال يزيد لابنه خالد : « اردد عليه » قال فما درى خالد ما يرد عليه فقال له يزيد قل (٢ « ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم »

وكان الخليفة في بعض الحفلات العظمى يقف وقفة السلطان المنتدب من الجامعة الاسلامية الى منبر الملك . فيفتتح حفلات الوفود ويترأس الصلاة الجامعة . وكان الامراء الامويون يهتمون اشد الاهتمام بالقيام بتلك الوظيفة بغاية الأبهة والفخامة.

ومثلهم من بعدهم الخلفاء العباسيون الاولون . والمنبر للامير كالعرش للملك ، والميدان للفارس ، قال السيد الحميري مادحاً ابا العباس السفاح حين نزل عن المنبر (الاغاني ٧: ٧)

دونكموها يا بني هاشم ... فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها لا علا كعب من ... كان عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار الا منكم فارسا . . .

***

اما معلمو القرآن فكانوا يدعون في اول امرهم « القراء » لكثرة الاميين في ذلك العصر . على ان الآباء لم يرتاحوا طويلاً الى تسليم ابنائهم يد القراء بل عهدوا بتربيتهم الى المؤدب وكان المؤدب غالباً غير مسلم يتردد الى منازل تلامذته ، ويعلمهم بالقرب من اهلهم

---

١) (القرآن ٥٧ : ٢٢) ٢) (القرآن ٤٢ : ٢٩)

وربَّ مناقشة وقعت بين الاستاذ وتلميذه آل امرها الى استنجاد الصبي اباه على قساوة المؤدب . ولم يكن الاب لينتصر لابنه على المعلم . جاء في الكامل : (٢ : ١٤٦)

«كان مروان ابياً عزيز النفس فدخل به على عبد الملك باكياً لضرب المؤدب اياه فشقّ ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجي فقال لهُ : دعه يبكِ فانه ارحب لشدقه ، واصح لدماغه ، واذهب لصوته ، واحرى ان لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرته .»

على ان عمر الثاني كان يحذّر المعلم من ان يبالغ في ضرب التلميذ وكان يقول : «يكفي في تخويف الغلام»

وقال عمر بن عتبة لمؤدب بنيه :

«علّم الاولاد كتاب الله ولا تملّهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منهُ فيهجروه . روّهم من الحديث اشرفه ، ومن الشعر اعفّه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم ، وعلّمهم سنن الحكماء ؛ وجنّبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك .» (العقد الفريد ١ : ٢٧٦)

وقال «ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك . فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت»

وكما ان رؤساء المدارس يشرفون على التلامذة ابّان الدروس يستحثونهم على الاجتهاد ، كذلك كان عبد الملك بن مروان يقف على رأس بنيه ، وبين يديهم الكتب ، فينصحهم قائلاً :

«عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالاً ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالاً (العقد الفريد ١ : ٢٧١)

* * *

فعلى ذلك المنهاج البسيط كان يسلك العرب ابناءهم سبيل المعارف ، فيبلغون «الكمال» باتقان الادب الجاهلي ومعرفة القرآن ؛ الى ان تعرفوا الى نوابغ الاساتذة من النصارى ، فسلموهم ابناءهم للتعليم(١

---

١) راجع شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص : ٣٨٩ وما بعدها)

على ذكر ميثاق كيلوغ

هل من حرب مقبلة في الباسيفيكي؟

جهود الولايات المتحدة وجهود اليابان

بقلم فؤاد افرام البستاني

اذا اردت السلم ، فاعدّ الحرب !

لا تخلو صحيفة ، في هذه الايام ، من ذكر ميثاق كيلوغ واتفاق الدول على توقيعه . وما كان ميثاق كيلوغ الّا نتيجة احلام الشعوب بالراحة ، ومطامعهم الابدية الى السلام العامّ ، ظهرت لازمة كل اللزوم بعد الحرب الكبرى اذ اصبحت الدول ، بفضل اساليب التدمير الحديثة وطرق التهلكات العصرية ، عرضةً للخراب بين ليلة وضحاها . فاخذت تفتش عن الوسائل الكافلة لها الخلاص من شبح الحرب الهائل دون ان تتوفق الى ذلك . فمن مبادئ احترام الشعوب الصغيرة ، الى تأسيس جمعية الامم ، الى عقد المعاهدات المختلفة ، تعدّدت التجربات الاوّلية لتحقيق الحلم الجميل بالسلام العامّ ، حتى وصلنا الى ميثاق كيلوغ . فعسى ان لا يكون مصيره مصير ما تقدّمه من المواثيق والاتفاقات

هذا ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة كانت ولا تزال تظهر في مقدمة دعاة السلم ، ومرغبي الطمأنينة والسكون ، ومبغضي الحرب وويلاتها . على ان من يُعمل الروية في اهتمام الولايات المتحدة بتحقيق هذا السلم العام ، ثم يلقي نظرة على جيشها البحري ، يتحقق انها تستعد حقيقةً للسلم ؛ ولكنها تستعد لهُ على طريقة المثل المشهور : « اذا اردت السلم ، فاعدّ الحرب »

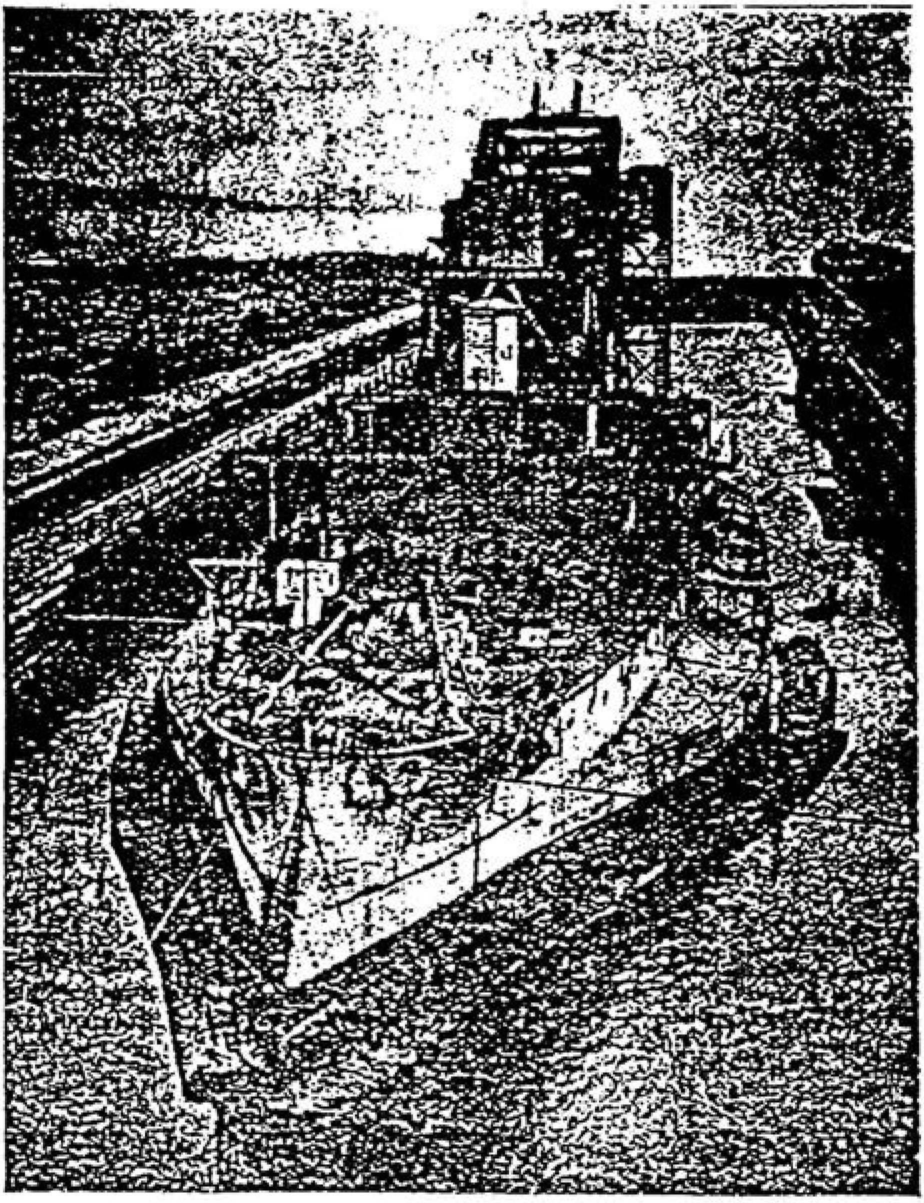
فهي ترغب كل الرغبة في السلم والراحة ، ولهذا تراها تتدخل مرات

عديدة في امور هايتي ، وسان دومنغو ، ونيكاراغوا ، وبناما ، والمكسيك ترغب كل الرغبة في السلم والراحة ، ولهذا نراها تزيد جيوشها يوماً فيوماً وتعزز طيرانها ، وتقوّي اسطولها بانشاء القطع الحربية وتحسين نقاط الدفاع.

عُقد ، لسنوات قليلة ، مؤتمر واشنطون لتحديد التسليح البحري ، وكان الداعي اليه الولايات المتحدة نفسها . فخرجت منهُ ، على الرغم من ادعائها حب السلام ، اقوى الدول سلطةً على المياه ؛ حتى ان سلطانة البحار نفسها تنازلت عن سيطرتها بان قبلت ان يكون للولايات المتحدة اسطول مساوٍ لأسطولها . فجُعل الرقم الضارب للعمارات الاميركية والانكليزية ٧ ، واكتفت اليابان بالرقم ٥ ، ولم تحصل فرنسا وايطاليا الا على الرقم ٣ . على ان تعيين تلك الارقام الضاربة كان نسبةً الى قوة الاساطيل المختلفة في زمن المؤتمر . وقد عُيّن ايضاً عدد الدوارع في كل دولة ومقدار محمولها ، وحُدد عيار المدافع ، مع عدد الطرّادات المدرّعة ، والطرادات الخفيفة .

ولكن، على الرغم من هذه الاحتياطات ، لم تطمئن الولايات المتحدة الى السلم ، وما السلم في عرفها الا كفّ اعدائها عن الحرب ، وجعلهم قاصرين عن التغلب عليها . وهي اذا ما تكلّمت في هذا الامر ، نظرت خصوصاً الى دولة الخُفر ، الى اليابان التي لا تزال تقلقها ، مع كونها اقل معدات منها ؛ حتى ان احد كبار كتّاب الاميركيين من المتخصصين بدرس الامور البحرية تنبأ عن حرب هائلة تشبّ في الاوقيانوس الباسيفيكي سنة ١٩٣٥ ، فتدوم عدة سنوات ، وتنتهي بانتصار اميركة طبعاً ، ولكن هذا الانتصار يكلفها تضحيات كثيرة .

وما كنّا لنشير الى هذه النبوءة لولا ان السلطات الاميركية البحرية وضعتها موضع الاحتمال ، ان لم نقل موضع التأكيد ، فأخذت تعمل لتعزيز عماراتها البحرية مع محافظتها في الظاهر على اصول معاهدة واشنطون . ففتحت في اول السنة الماضية (كانون الثاني ١٩٢٧) اعتماداً قدره ١٣،٥٠٠،٠٠٠ دولار لتصليح دارعتين من دوارعها الكبرى ، يرى المطالع واحدةً منهما في الرسم ١ ، واهتمت بتحصين الموانئ الحربية في پيرل هربور (Pearl-Harbour) من جزر هوايي ، وكافيت (Cavite) من جزر الفيلپين ، وبالبوا (Balboa) في منطقة قنال

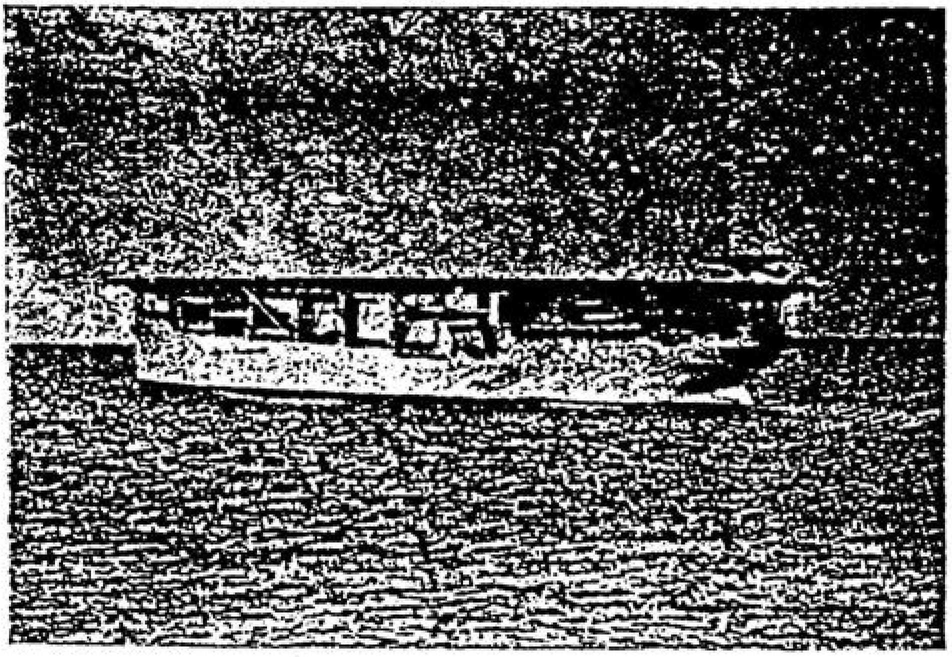


الرسم ١

صورة دارعة في فرضة بوسطن وقد قررت الولايات المتحدة اصلاح اسفلها وفحص آلاتها الدافعة

بانامًا . وهناك ، على ما يُذاع رغم التشديد المطلق في حفظ السرّ حول هذه الاستعدادات ، مدافع هائلة يتجاوز عيارها ٤٥٠ ميلمترًا . ثم صرفت الحكومة

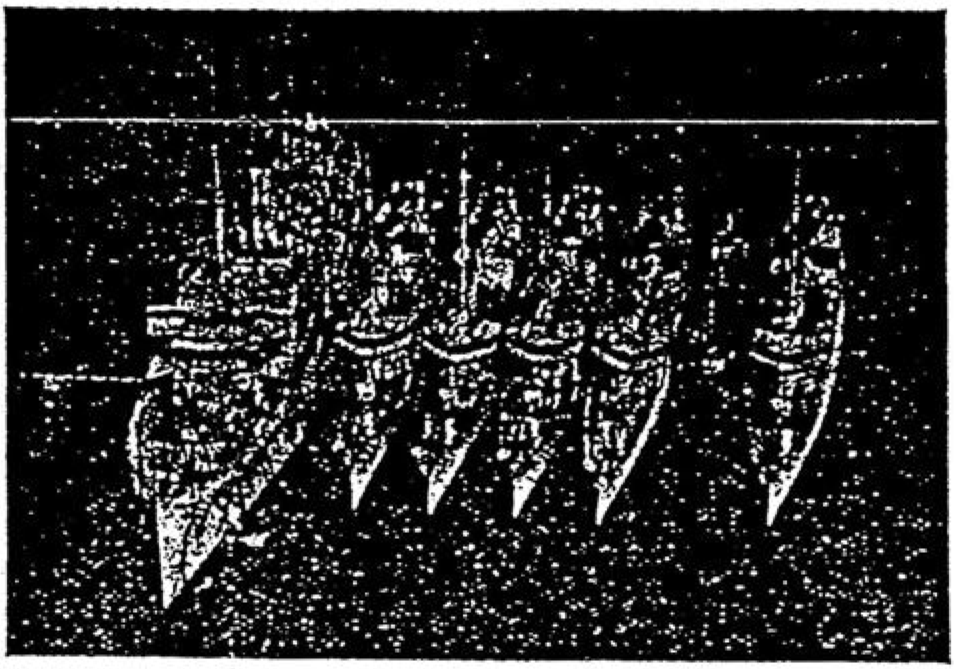
اهتمامها لتعزيز الطيران ولاسيما البحري منهُ فطلبت اللجنة المالية في مجلس النواب اعتمادًا قدره ٥٠٠،٠٠٠ دولار يخصص لبناء عشرين طيارة حربية ، جديدة فأقر في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٧ . وقررت كذلك بناء عدة مراكب تحول الى محطات للطيارات او مطارات عائمة .



الرسم ٢
صورة الباخرة لانقلي (Langley) وهي محطة عائمة للطيارات من اسطول اميركة في الاوقيانوس الباسيفيكي . ويشاهد الى اليمين طيارة على وشك النزول

ومن الجدير بالذكر اهتمام خاص بعمل القنابل المولدة للدخان ، ترميها الطيارات في البحر ، فتنفجر وتنشر دخانًا كثيفًا يحول بين الاسطول وسفائن العدو ، فلا ترى هذه من حركات الاسطول شيئاً . وقد ظهرت منافع هذه القنابل في الحرب الكبرى ، اذ استفادت منها المراكب الالمانية في معركة جوتلاند ، فهربت ونجت من الهلاك . وقد كان يكلف القاء القنابل في ذاك الحين نوع من المراكب الحربية يختص بوضع الالغام في البحار . اما اليوم فاصبح من الاسهل رميها بواسطة الطيارات .

***



الرسم ٣

صورة عمارة اميركية من واضعات الالغام مع باخرة كبيرة تقوم مقام المعمل ، في ميناء سان دييغو (كاليفورنيا الجنوبية)

ولا يتصور القارئ ان اميركة وحدها تستعد للحرب المقبلة . فان اليابان لا تغفل طرفة عين عمّا يجري حولها . وها ان الاشاعات تذاع في الولايات المتحدة ان « الصُفر » عقدوا اتفاقا سريًا مع المكسيك تتعهّد هذه بموجبه ان تجعل تحت تصرف اليابان خليج المجدلية (Magdalena) اذا ما شُهرت الحرب ، وان تقوم بما يطلبه الاسطول الاصفر من المازوت ، وغير ذلك من الزيوت المختلفة

* * *

فيتحقق المطالعون اذن تلك المناقضة بين الاستعدادات العملية للحرب ، والاستعدادات النظرية للصلح والسلام . وبينا نحن نتفاءل خيرًا بتوقيع ميثاق كيلوغ ، نورد ، عن مجلّة «العلوم والرحلات» الفرنساوية ، على سبيل الذكرى ، مقابلةً بين قوات الولايات المتّحدة البحرية اليوم ، وقوات اليابان التي قد تُصبح عدوّتها :

الولايات المتحدة

١٨ دارعة ، اسماؤها : اركنساس ، ويومينغ ، ميريلاند ، كولورادو ، وست فرجينيا ، كاليفورنيا ، تنيسي ، نيومكسيكو ، ايداهو ، ميسيسبي ، بنسلفانيا ، اريزونا ، نيفادا ، اوكلاهوما ، نيويورك ، تكساس ، اوتاه ، فلوريدا .

٣٤ طرادة مدرعة اسماؤها : مينولا ، سيتي ، شرلوت ، هورون ، بويبلو ، بتسبورغ ، فريدريك ، هوتنغدون ، تشارلستون ، سان لويس ، روشستر ، اوماها ، ميلوويكه ، سنسيناتي ، راليغ ، ديترويت ، ريشموند ، كونكورد ، ترنتون ، ماربلهيد ، ممفيس ، شستر ، سالم ، برمنغام ، اولمبيا ، دنفر ، تشاتانوغا ، كليفلند ، دس موانس ، غالفستون ، الباني ، نيواورليانس .

يبقى طرادتان وهما : بنساكولا ، وسلت ليك سيتي ، لم ينته بناؤهما بعد

ثلاثة مطارات عائمة : لانغلي ، ليكسنغتون ، ساراتوغا

٢٧٥ نسافة

١٢٢ غواصة منها غواصتان قيد البناء .

٤٤ نازعة للالغام

١٢ مدفعية وكشافة

١٢ مدفعية نهرية

مع كثير من المراكب المعاونة والمراكب المعدة لرفع الاثقال ، والمحولة الى معامل ، والمحولة الى آبار للماء وغيرها . . .

اليابان

٦ دوارع اسماؤها : ناغاتو ، موتسو ، ايزي ، هيوغا ، فوزو ، ياماشيرو .

٣٩ طرادة منها اثنتان لوضع الالغام وهما : آزو ، وتوكيوا . اما الباقية فهذه اسماؤها : نيشين ، كاسوغا ، إدزومو ، إيواتي ، أدزوما ، ياكومو ، أزاما ، جنتزو ، ناكا ، سندي ، إيزودزو ، ناغارا ، ياتوري ، يورا ، ابوكوما ، كينو ، كوما ، كما ، أوهي ، كيتاكامي ، كيزو ، تاتسوتا ، تنريو ، هيراتو ، ياهاغي ، شيكوما ، توني ، تسوشيما ، يوباري .

يبقى ثماني لم تنته بعد وهي : ناشي ، ميوكو ، اشيغارا ، هاغورو ، كاكو ، فوروتاكا ، كينوغازا ، آوبا

مطاران عائمان : هوشو ، وآكاميا ، مع مطارين لا يزالان قيد البناء : أكاجي ، كاغا .

١١٠ نسافات منها ٢٦ قيد التجربة

٧٨ غواصة منها ٢٥ قيد البناء .

١٨ نازعة للالغام وهي نسافات قديمة تحولت لهذه الغاية

٤ طرادات مدرعة وهي من طراز خاص تصلح في كثير من الاحيان لمقاومة الدوارع وهي : كونغو ، هييي ، هارونا ، كيريشيما

يظهر من هذا الجدول تفاوت القوى بين الاسطولين الكبيرين . على ان مصير المعارك لا يكون دائماً بنسبة المعدَّات ولاسيما في البحار . وما حادثة نلسون في ترافلغار الَّا شاهدة على هذا القول . وان النصر بيد ربك يؤتيه من يشاء !

مطعومٌ واقٍ من شرِّ داء

قد وضعه الحكيم كلمت نائب رئاسة دار باستور الباريزيَّة

Le Vaccin B. C. G. de Calmette

بقلم الحكيم امين الجميل

أوما هو شرُّ الأمراض السلّ الفاتك في كلّ عامٍ بمئات الألوف من الناس في جميع الانحاء ، المسبّب لخمس الوفيات ، الخارم فرنسا وحدها سنوياً ما يوازي سكّان مدينة كالشام ، على كونه ابدا آفة الرضّع والأطفال الخاطفة لفريقٍ عظيم من الشبّان !

إنَّا ، اذا تأمّلنا ما تقدّم ، نفهم سرَّ مسرّة الانسانيّة وقدر هذه المسرّة ، لاكتشاف الاستاذ كلمت ومعاونيه مطعوماً سهل الاستعمال شديد الوقاية من أفظع بليّة

ونزولًا عند رغبة حضرة مدير « المشرق » الفضال قد كتبنا هذا الموجز عن هذا الترياق

* * *

ان الحكيم كلمت قد أثبت ان جرثوم السلّ (باشلس كوخ) الهائل ، اذا نُقِل من مُزدرَعٍ الى آخر حتى ٢٥٠ مرّة ، وكان المزدرَع من البطاطا المطبوخة في صفراء البقر ، فالجرثوم اللعين يصبح غير مُؤذٍ للحيوانات أصلًا ، وعاجزاً عن استعادة مقدرة الإيذاء .

والأعجب — وهنا عظم الفائدة — انهُ ، متى تربَّى ونما على هذه الطريقة ، يفرز موادَّ تحثُّ أنسجة الجسم وكُرَيات الدم على الذَّود عن حياتها ، ومكافحة ميكروب السلّ والتفوّق عليه ، بقوَّة مُفرَزاتٍ خاصَّةٍ تُسمَّى المُناهِضات (antigène) تعصم البنية من ذيوع العدو وإضراره . ذلك على مثال ما قد توفَّق الطب اليه بطاعيم عديدة لأمراض كثيرة . اما للوقاية من السلّ فللاستاذ كلمت هذا السَبق فمنتهى الشرف .

وبرهان هذه الخاصَّة الجديدة انك اذا لقَّحتَ حيواناتٍ بجرثوم السلّ ، ولم تكن قد طعَّمتها قبل ذلك بالميكروب المُستنبَت بالصفراء على نحو ما ذكرنا ، فانها تهلك بالداء ، وبعكسهِ لو سبق تطعيمُها فانها لكانت تظفر بالعدوّ وتسلم .

ولم تكن هذه الاختبارات المتعدِّدة في الحيوانات المتنوّعة الا مُقدِّمة وسبيلًا لوقاية الانسان :

قد أثبتت الاحصآت ان الاطفال ، من عمر يوم الى سنةٍ ، القائمين في بيئةٍ مدنَّسةٍ بجراثيم السلّ ، عرضةٌ له وفريسة كاولئك المصابات والداتهم بالداء . ان العلّة على أشكالها تجرفهم بنسبة ٢٥ الى ٦٠ في الـ ١٠٠ . ولكن اذا أعطوا المطعوم فهم لا خوف عليهم ولا هم يموتون منهُ او بهِ الا بنسبة ١ من ١٠٠

وما عَرَفَ علماء العالم بهذه النتائج حتى هبُّوا من كل جهات أوربة واميركة للاستفادة منها . فجاءت خبرتهم تؤيد خبرَ دار پاستور الباريزيَّة .

ومن البداهة ان هذه الوقاية لا تزداد الا فائدةً فيما اذا فُصِل الرضيع عن محيطهِ الوبيّ المُعدِي ، للإقامة في وسطٍ نقيّ الهواء شامس الجوّ ، حسَن التغذية ، عملًا على نهج المرحوم غرانشه : اي المبادرة الى ارسال المُعرَّضين لهذه العدوى الى الحقول ، لعلَّهم ايضاً يندمجون يوماً بصاف الفلّاحين السليمي البنية . والمخترع كلمت نفسه يعتبر ان لا ندحة عن هذه الحيطة في الاسابيع والشهور الأولى ، اي الى ان يتمّ للجسم ان تتألف فيهِ عناصرُ المناعة والمقاومة .

***

والطبُّ في كل هذه الاعمال شرطٌ أوليّ انما هو نزاهة المعالجة عن الإيذاء

فالاحصآت على ١٨٠،٠٠٠ بنيِّف من الاطفال المولودين والمطعَّمين في محيطٍ سليمٍ ، قد جلَتْ أنهُ لم يظهر قط ضررٌ على احدٍ منهم يُنسَب الى المطعوم ؛ بل أتت بما هو أفضل من ذلك وهو ما نوَّه بهِ في الأكادمي الباريزيَّة ، بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٢٨،عالمان رومانيَّان من ان الاطفال في بوخارست وغيرها من مدُن رومانيا ، المطعَّمين على اسلوب كلمت ، وهم ٦٥ الى ٩١ من الـ ١٠٠ قد هبطت وفيآتهم الى ٤ في الـ ١٠٠ ، وهي ٢٠ في الـ ١٠٠ من كل الذين لم يُعطَوا الترياق الواقي . فتأمَّل !

ويلَذُّنا ان ندوِّن فوق ذلك ان الاولاد المطعَّمين منذ عام ١٩٢١و١٩٢٢ لم يزالوا حتى الساعة بعصمةٍ من الداء . لذلك كانت الثقة بهذا المطعوم الجديد كبيرة والآمال المبنيَّة على شأنه وطيدة . (ولِجرمة الحقيقة نقول ان المناعة لم تطل في الحيوانات الى هذا المدى)

واذا عرَف قارئ « المشرق » ان الكثيرين من ارباب الفنّ يذهبون الى ان السلّ في الشباب وما بعده يُتَّخذ في الطفوليَّة ، وعن طريق القناة الهضميَّة ، ويظلُّ كامناً الى ان تتهيَّأ لهُ ظروفٌ ملائمة للفشو كالإفراط وفساد الجو ، وبالأحرى « فساد السيرة » ، أدرك أنَّ كلمت انما هو التلميذُ الجدير بمعلّمه العظيم باستور .

* * *

كيف يُستعمل هذا الواقي ؟

إن التجارب الحاليَّة ، على ما فتحتهُ من الآمال ، لم تزل مقصورةً على العشرة الأيام الاولى التي تعقب الولادة : فالامعاء ايامئذٍ فقط تمتصُّ المطعوم وتستفيد منهُ . وهو يؤخذ عن طريق الفم على الوجه الآتي :

كل ٤٨ ساعة من العشرة الأيام الأولى التي تعقب الولادة ، يُعطى الطفل القطارات المعدودة الموضوعة في نفّاخة(ampoule)(١وقوامها المُستحلَب الجرثومي في ملعقة صغيرة من الحليب ، على درجة حرارة الجسم (٣٧) . ذلك نصف ساعة قبل الإرضاع من الثدي .

١) ترجمة اليازجي

ونحن نبشّر الجمهور أن من البحّاثين مَن أخذ في استعمال هذا المطعوم في الأطفال حتى الأولاد وتلاميذ المدارس ، بل مُمرِّضي المصاحّ(١) (sanatorium) عن طريق الجلد حَقناً تحته ، باعتبار انه لم يبقَ بوسع المعى امتصاص المطعوم والاستفادة منهُ . والرأي السائد الآن انها طريقةٌ مفيدة وعلى كلٍ فلا خوف منها ولا حرج.

ولا يخفى ان هذا الاختراع لم تتجاوز سنّهُ السابعة وذيوعه الرابعة ؛ ومع ذلك فان عدد الجرعات الموزَّعة منهُ من دار باستور وحدها قد بلغ ٣٠٠،٠٠٠ وعدد المطعَّمين ٩٤،٣٠١ والانتشار على الازدياد المطَّرد مع تحسُّنات متواصلة كان بعضها عن اعتراضات وملاحظات لبعض المُنتقدين تصبو الى اتقاء السلّ في كل عمر.

إن يوماً تبلغ فيهِ البشريّة هذه الأمنيَّة لهو بدون ريبٍ من أجل أيامها. جعلَهُ الله قريباً بمَنّهِ وكرمه !

طُفَيْل الغَنَويّ والطِرِمّاح الطّائي

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

اهدى الينا العلّامة المستشرق الهُمام ف. كرينكو نسخة من ديوان طُفَيل الغَنَويّ ، رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعيّ ، وديوان الطِرِمّاح الطائي ، في مجلّدٍ واحد عُني حضرته بنشرهما عنايةً لا مزيد عليها ، معتمداً على نسخة وحيدة خطيّة كُتبت في اسبانية في السنة ٤٣٠ للهجرة . وقد استعان لهذا العمل بمراجعة مائة وثلاثة وعشرين تأليفاً عربياً بعضها مخطوط ومعظمها مطبوع ، ذكر اسماءها في مقدمة الكتاب وأشار اليها في الحواشي المثبتة في ذيل كل صفحة . وقد ضُبطت الابيات والشرح الذي يرافقها بالشكل الكامل

١) ترجمة الشيخ ابرهيم ايضاً

ومما يُسهِّل الاستفادة من الكتاب الفهارسُ العديدة المُلحقة به . منها فهرس للقوافي ، وآخر لأعلام الناس والقبائل وغيرها ، وفهرس للبُلدان، وفهرس لأهمّ الالفاظ الواردة في الديوانين مع تفسيرها بالانكليزية ، وفهرس خامس يُشغل ٢٥ صفحة ذُكِرت فيه التآليف التي وردت فيها ابيات من شعر طُفيل او من شعر الطرمّاح مع تعيين الجزء والصفحة ، فيسهل الوقوف عليها في كتب الادب او في الامهات اللغوية

ولم يكتفِ العلّامة المستشرق بذلك ، بل اقدم على عمل اصعب وهو نقل معنى الابيات الى الانكليزية . وكلّ من يعرف ما يعترضنا من الصعوبة لندرك معاني الشعر القديم يستعظم هذا العمل ويقرّظهُ

والكتاب مُقدّم لذكر المرحوم السِر شارلس جيمس ليَّل الذي كان قرأ معظم النسخ قبل طبعها ، وقد طُبع على نفقة وقفية جيب ، بمطبعة بريل بليدن من اعمال هولندة ، طبعاً نظيفاً على ورق متين صقيل ناصع البياض ، باحرف واضحة هي اكبر واشد سوادًا في الابيات منها في الشرح . ويحتوي ٣٨٢ صفحة بقطع كبير بطول ٢٧ سنتيمترًا وعرض ٢١

على اننا كنّا نود ان نرى في بدء الكتاب صفحة او صفحتين من النسخة الاصليّة الخطّيّة ممثّلة بتصوير النور ، ليمكننا ان نعلم حالتها من الصحّة او الخطإ في الالفاظ والحركات . فقد عثرنا على بعض الاغلاط فأحببنا ان نوردها هنا مع تعيين الصفحة والسطر ونُتبعها بما نراه الصواب ، خدمةً للعلم :

	خطأ	صواب		خطأ	صواب
٢[٦]	مُشْذَب	مِشْذَب	٥[٦]	إهداب	إهذاب
٥[١٦]	المَرْتَفع	المُرْتَفِع	٣٤[٢]	يَنْهَيْنَ	يُنْهَيْنَ
٣٨[١٦]	خَبْزُم	خُبْزُم	٣٩[١]	ومُستلجم	ومُستلحم
٤١[٥]	تَحْرَمْ	في الاصل تحروا ≠ تجزُوا	٥٣[٢]	تُفرّقُ	تَفرّقُ
٥٧[٢]	أبرَزْنَ	أبرِزْنَ	١٤٩[٦]	لِأَولاها	لِأُولاها
١٥٢[١١]	مُخَضَّرَة	مُخْضَرَّة	١٦٣[١٠]	قُلْبًا	قَلْبًا
١٦٦[٢]	ضُبِرَتْ	ضَبُرَتْ	١٦٧[١٦]	مُقلَّصة	مُقلِّصة

الى غير ذلك من الاغلاط التي تُرِيُّها لحظة عين مثل: النِقال ١٢ ٩٢، الجامض ١٥٠، وتسقيطاً ١٤ ١٦٣، وقطرُ الزَجل ٢ ١٧٢، وأرطاةِ حِقف ٩ ١٧٤ الخ.
والصواب: الثِمال، والحامض، وتقسيطاً، وقطرُ الرِجلِ، وأرطاةِ حِقفِ

***

هذا وقد رأينا ان نُثبت في « المشرق » ترجمة طفيل والطرمّاح، ونورد مثالًا من شعرهما، ليطَّلع القرَّاء على صفات هذين الشاعرين:

طفيل الغنوي

طُفيل بن عوف الغنوي شاعر جاهلي من الفحول المعدودين. يقال انهُ من اقدم شعراء قيس كان يقال لهُ « طُفيل الخيل » لكثرة وصفه اياها. وكان طفيل يُسمَّى في الجاهلية محبِّرًا لحُسن شعره. قال معاوية بن ابي سفيان: « خلُّوا لي طُفَيلًا وقولوا ما شئتم في غيرهِ من الشعراء »

ذكر طفيل في شعره وقعة اوقعها قومه بطيء وحرباً كانت بينه وبينهم. وسبب ذلك ان رجلًا من غنيّ يقال لهُ قيس الدارمي وفد على بعض الملوك وكان قيس سيّدًا جوادًا. فلمَّا حفل المجلس اقبل الملك على من حضرهُ من وفود العرب فقال: لأضعنَّ تاجي على اكرم رجل من العرب. فوضعهُ على رأس قيس وأعطاهُ ما شاء ونادمهُ مدّة. ثم اذن لهُ في الانصراف الى بلدهِ فلمَّا قرب من بلاد طيء خرجوا اليهِ وهم لا يعرفونه فقتلوه. فلمَّا علموا انهُ قيس ندموا لأيادٍ لهُ كانت فيهم، فدفنوهُ وبنَوا عليهِ بيتاً. فجمع طُفيل جموعاً من قيس، فاغار على طيء فاستاق من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة. فقال بعد النسيب في قصيدة لهُ وهي الاولى من ديوانه وعدد ابياتها ٧٧

وبيتٍ تَهُبُّ الريحُ في حَجَراتِهِ بأرضٍ فَضاءٍ، بابُهُ لم يُحَجَّبِ
سَماوَتُهُ أسمالُ بُردٍ مُحَبَّرٍ وصَهوتُهُ من أتحميٍّ مُعصَّبِ
وأطنابُهُ أرسانُ جُردٍ، كأنَّها صُدورُ القَنا من بادئٍ ومُعقِّبِ
نَصبتُ على قومٍ تُدِرُّ رماحُهم عُروقَ الأعادي من غَريرٍ وأشيَبِ

وفينا تَرى الطُولى ، وكلّ سَمَيْدَعٍ مُدرَّبِ حربٍ وابن كلّ مُدرَّبِ
طويلِ نِجادِ السَّيف ، لم يرضَ خُطةً من الخَسْفِ، وَرّادِ الى الموتِ صَقعبِ
تَبيتُ كعِقبانِ الشُّرَيْقِ رجالُهُ اذا ما نَوَوْا إحداثَ امرٍ مُعطِّبِ
وفينا رباطُ الخيلِ ، كلُّ مُطهَّمٍ رَجيلٍ كسِرحانِ الغضا المتأوِّبِ
يُذيقُ الذي يعلو على ظهرِ متنهِ ظِلالَ خَذاريفٍ من الشدِّ مُلهِبِ ،
وجَرداءَ مِمراحٍ ، نبيلٍ حِزامُها طروحٍ كعُودِ النبعةِ المُتنخَّبِ
تُنيفُ اذا اقورَّتْ من القَودِ ، وانطوت بهادٍ رفيعٍ يَقهرُ الجُلَّ صَلهَبِ

وقال يفتخر بقومهِ من قصيدة هي السادسة من الديوان وعدد ابياتها ٣٩ :

بَني جعفرٍ ، لا تكفُروا حُسنَ سعينا وأثنوا بحُسنِ القولِ في كلّ مَحفِلِ
فنحنُ منعنا ، يومَ حرسٍ ، نساءكم غداةَ دَعَتنا عامرٌ غيرَ مُؤتلي
فقالَ : « اركبوا انتم حُماةٌ لمثلِنا » نطرنا الى مَقصورةٍ لم تُمَبَّلِ
فجاءت بفرسانِ الصباحِ عوابساً سِراعاً الى الهيجا معاً ، غيرَ عُزَّلِ
فأحمشَ أولامِ ، وألحقَ سِرجَهم فوارسُ منا بالقنا المُتنخَّلِ
فحامَى مُحامينا ، وطرَّفَ عنهمُ عِصابٌ منا في الوَغى لم تُخاذِلِ
رَددنا السَّبايا من نُفَيلٍ وجعفرٍ وهُنَّ حَبالى من مُخفٍّ ومُثقِلِ
وراكضةٍ ما تستجنُّ بجُنَّةٍ بعيرَ حلالٍ راجعتْه مُجفِّلِ
فقلتُ لها ، لما رأينا الذي بها : « من الشرِّ لا تَتوهلي وتأمّلي
فان كانَ قومي ليس عندكِ خُبْرُهم فانَّ سُؤالَ الناسِ شافيكِ فاسألي ! »
ومُستَلحَمٍ تحتَ العوالي حَميَّةً مُعمَّمٍ دَعوى ، مُستَغيثٍ مُجلَّلِ
مُنيفٍ على إحدى اثنتينِ بنفسهِ فُوَيتَ الشماليّ بينَ أسرٍ ومَقتَلِ
نفرَّجتُ عنه الكربَ حتى كأنّما تأوّى من الهيجا الى حوزِ مَعقِلِ

وقال طُفَيل يصف سحاباً من قصيدة هي السابعة في ديوانه وعدد ابياتها ٣٣ :

اصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضَهُ يُضيءُ سَناهُ سُوقَ أثلٍ مُركَّمِ
أسَفَّ على الأفلاجِ أيمنُ صَوبِهِ وأيسرُهُ يعلو مَخارمَ سَنْسَمِ
لهُ هَيدبٌ وانْ كانَ فُروجَهُ فُوَيقَ الحصى والارضِ أرفاضُ حَنْتَمِ
أبسَّتْ بهِ ريحُ الجَنوبِ فأسمدَتْ رَوايا لهُ بالماءِ لمّا تَصرَّمِ

الطرماح الطائي

الطِرِمّاح بن حَكِيم الطائي من فحول الشعراء الاسلاميين وفُصحائهم . نشأ بالشام ، وانتقل بعد ذلك الى الكوفة مع من وردها من جيوش اهل الشام . نزل في تيم اللّات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخ من الشراة الازارقة له سمتٌ وهيئة ، وكان الطرمّاح يجالسه ويسمع منهُ ، فرسخ كلامه في قلبه ، ودعاه الشيخ الى مذهبه فتقبلّه واعتقدهُ اشدّ اعتقادٍ واصحّهُ ، حتى مات عليه. وقد اشار الى معتقده هذا اذ قال :

لله درُّ الشُراةِ ! إنّهمُ — اذا الكرَى مالَ بالطُلا ، أرقوا
يُرجّعُونَ الحَنينَ آونةً — وإن علا ساعةً بهم شَهِقُوا
خوفاً تَبيتُ القلوبُ واجفةً — تَكادُ عنها الصُدورُ تَنفلِقُ
كيفَ أُرجّي الحياةَ بعدهمُ — وقد مضى مُؤنسيَّ فانطلقوا ؟
قومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهم — بالفوزِ ، مّما يُخافُ قد وَثِقوا

وكان الطرماح كبير النفس أبيًّا . قال ابن الاعرابي : وفد الطرماح ابن حكيم ، والكميت بن زيد على مخلد بن زيد المهلّبيّ . فجلس لهما ودعاهما . فتقدّمَ الطرمّاح ليُنشِد. فقال لهُ : « أنشِدْنا قائمًا. » فقال : « كلّا والله ما قدر الشعر ان اقوم لهُ فيحطّ مني مقامي ، فأحطّ منهُ بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيتُ الذكرِ لمآثر العرب. » فقيل لهُ : « فتنحَّ ! » ودُعي بالكُمَيت فأنشدَ قائمًا . فأمر لهُ بخمسين الف درهم . فلمّا خرج الكميت شاطرها الطرماحَ وقال لهُ : « انتَ ابا ضبيبة ابعدُ همّةً ، وانا ألطفُ حيلةً . »

كانت بين الطرماح والكميت خلطة ومودّة وصفاء لم تكن بين اثنين . وهذه الاحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة . وكان الكميت شيعيًا عصبيًا عدنانيًا من شعراء مُضَر متعصّبًا لاهل الكوفة . والطرماح خارجي صفري قحطاني عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لاهل الشام .

فقيل لهما : « فنيمَ اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الاهواء ؟ » قالا : « اتفقنا على بغض العامة »

وأنشد الكميت قول الطرماح :

إذا قُبضَت نفسُ الطرماحِ ، أخلقَتْ عُرَى المجدِ ، واسترخى عنانُ القصائدِ

فقال : « إي واللهِ وعنانُ الخطابة والرواية والفصاحة والسماحة »

وكان الطرماح كثير الغريب يتضح ذلك من مطالعة شعره . قال رؤبة : « كان الطرماح والكميت يصيران اليَّ فيسألانِ عن الغريب فأخبرهما بهِ فأراهُ بعد في اشعارهما » . وسُمع محمَّد بن حبيب يقول : « سألتُ ابن الاعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلّها من غريب شعر الطرماح ، فلم يعرف منها واحدة يقول عن جميعها : « لا ادري ، لا ادري . »

• ومن شعر الطرماح هذه القصيدة وهي الثانية من ديوانه وعدد ابياتها ٤٣ قالها يفتخر بقومه ، ويصف بلاءهم في الحرب :

انّنا معشرٌ شمائلنا الصبرُ اذا الخوفُ مالَ بالأحناضِ
نُصُرٌ للذليلِ في ندوةِ الحيِّ مَرائيبُ للثأى المنهاضِ
مَن يرمْ جمعهم يجدهم مَراجيحَ حماةً للعُزَّلِ الأحراضِ
لم يفُتنا بالوترِ قومٌ ، وللضيمِ رجالٌ يرضون بالإغماضِ
فسلي الناسَ إن جهلتِ : وانْ شئتِ قضى بيننا وبينكِ قاضي
هل عدَّتنا ذامينةٌ تبتغي العزَّ من الناس في القرونِ المواضي
كم عدوٍّ لنا ، قُراسيةِ العزِّ ، تركنا لحماً على أوفاضِ
وجلبنا إليهم الخيلَ ، فاقتيضَ حماهم والحربُ ذاتُ اقتياضِ
ببلادٍ يفري الشؤون ، وطعنٍ مثل إيزاعِ شامذاتِ المخاضِ
ذي فروغٍ يظلُّ من زبدِ الجو فِ عليهِ كثائرِ الحُمّاضِ
نقبَتْ عنهمُ الحروبُ فذاقوا بأسَ مستأصلِ المدى مُنتاضِ
كلّ مُستأنسٍ الى الموتِ قد خا ضَ اليهِ بالسيفِ كلَّ مَخاضِ
لا يني يحمضُ العدوَّ وذو الخلّةِ يُشفى صداهُ بالإحماضِ
حينَ طابت شرائعُ الموتِ فيهم ورأوا أن يكون عذبَ الحياضِ

باللواتي لم يَتْرُكنَ عِناقاً ، والمذاكي يَنهضنَ ايَّ انتهاضِ

تلكَ أحبابُنا اذا احتثَّ الحمْلُ ، ومُدَّ المدى مدى الأغراضِ

وقال الطرماح في القصيدة الثالثة من ديوانهِ وعدد ابياتها ٣٤ يصف الثورَ الوحشيَّ والكلابَ وصيدها لهُ :

كمُخفقِ المَشْيَين ، باتَ تلفُّهُ وطفاء سارية ، وهفٌ مُبرِدُ

ضاحي المَراتع والطيّاتِ ، كأنَّهُ بَلَقٌ تَعاورهُ البُناةُ مُمدَّدُ

يَقَقُ السَّراةِ ، كأنَّ في سَفِلاتهِ أثرَ النَّؤورِ جرى عليهِ الإثمِدُ

حُبِستْ صُهارتهُ فظلَّ عُثانُهُ في سَيْطلٍ كُفِئَتْ لهُ يتردَّدُ

حتى اذا هوَ آلَ ، واطّردَتْ لهُ شُعَبٌ كأنَّ وُحيهنَّ المُسنَدُ ،

أجلَتْ يَدا بَلويّةٍ عنها لها إبَرٌ تركنَ قرانقاً ما تَبلُدُ

يبدو وتُضمِرهُ البلادُ ، كأنَّهُ سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويُغمَدُ

هاجتْ بهِ كُسُبٌ تَلمَّعُ للطَّوى والحِرصِ ، يَذأَلُ خلفهنَّ المُوسِدُ

صُمرُ السَّوالفِ بالجِراءِ ، كأنّها خلفَ الطرائدِ ، خشرمٌ مُتبدِّدُ

فاجتبنَ حاصبهُ ، وولّى يفتري فَيحانَ يُسيحُ مرَّةً ويُعرِّدُ

يُذري رَوانِسها الاوائلَ ، مثلَ ما يُذري فَراشَ شَبا الحديدِ المِبرَدُ

تبراً ، ويَنصفُها بحرتي روقهِ شزراً كما اختصفَ النِّعالَ المِسرَدُ

فصدفنَ عنهُ ، وقد عصفنَ بنجعةٍ خذلتْ وأفلتَها فَريرٌ مُفرَدُ

فالقومُ أجنبُها شرائجُ منهمُ طاهٍ يَحُشُّ ، ومُهتبِجٌ يَفأدُ

وغدا تشُقُّ يداهُ اوساطَ الرُّبى قَسَمَ الفِئالِ تَقُدُّ اوسطَهُ اليدُ

يقرو الخمائلَ بين حزمِ عوارضٍ ويَسوفُ اسفاءها خُزامى تمأدُ

وفي القصيدة الخامسة ، وعدد ابياتها ٧٥ ، قال الطرماح يُزهّد في الدنيا :

ترك الدهرُ اهلهُ شُعَباً فاستمرّتْ من دونهم عُقَدُهْ

وكذاك الزمانُ يَطرِدُ بالنا سِ الى اليوم ، يومُهُ وغدُهْ

لا يُليثانِ باختلافهما المر ءَ ، وان طال فيهما أمدُهْ

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدَّةَ العمـ ـرِ ومودٍ ، اذا انقضى عددُهْ

عجباً ما عجبتُ للجامع الما لَ يباهي بهِ ويرتفدُهْ

ويُضيعُ الذي يصيّرهُ اللّٰـ ـهُ اليهِ ، فليسَ يتقيدُهْ

يومَ لا ينفع المُخوَّلَ ذا الثروة م خُـلّانـهُ ، ولا ولـدُهْ
يوم يُؤتى بهِ ، وخصماه ، وسطَ م الجنّ والإنس ، رجلُه ويـدُهْ
خاشعُ الصوت ، ليس ينفعـه ثَمَّ م أمانيُّـهُ ، ولا لـدَدُهْ
قُل لباكي الاموات : لا تبكِ للنا س ، ولا يَستنِعْ بـهِ فَنَـدُهْ
انما الناسُ مثلُ نابتةِ الزَّر ع ، متى يـأنِ ، يأتِ مُحتصِدُهْ

وفي القصيدة الثامنة ، وعدد ابياتها ٣٦ ، قال الطرمّاح يردُّ على الفرزدق ويهجو تميماً :

بأيّ بلادٍ تطلبُ العزَّ بعد ما ، بمَولدِهـا ، هانت تميمٌ وذَلَّتِ
اقرّت تميمٌ لابنِ دَحمةَ حُكمَهُ ؛ وكانت ، اذا سِيمت هَواناً ، اقرَّتِ
وكانت تميمٌ وسطَ قحطانَ اذ سَمَتْ كمقذوفةٍ في اليمّ ليلاً ، فضلَّتِ
وغُبّاكَ من أُسْدِ العراقِ كتائبٌ لقحطانَ اهلِ الشام يومَ استهلّتِ

الى ان قال :

افخراً تميمُ ، اذا فتنةٌ خبَتْ ! ولُؤماً ، اذا ما المشرفيّةُ سُلَّتِ !
ولو خرجَ الدجّالُ يَنْشُرُ(١) دينَهُ لزافتْ تميمٌ حولَهُ واحزألّتِ
فَراشُ ضلالٍ بالعراقِ وحوقةٍ اذا مات مَيْتٌ من قُريشٍ اهلّتِ
فاينَ تميمٌ ، يومَ تخطِرُ بالقنا كتائبُ منّا اثامَتْ واحلّتِ ؟
كتائبُ من قحطانَ ، بالعقرِ اوقعت وقائعَ فيها اعظمَتْ واجلّتِ
فخرتَ بيومِ العَقرِ ، شرقيّ بابلٍ ، وقد جبُنتْ فيـهِ تميمٌ ، وقلّتِ
فخرتَ بيوم لم يكن لكَ فخرُهُ ، وقد نَحلَت منكَ الرماحُ وعلّتِ
كفخرِ الإماءِ الرائحاتِ عشيّةً برقمِ حُدوجِ الحيّ حينَ استقلّتِ

---

١) في طبع دواوين الشعر القديم ، اذا عثر من يُعنى بنشر الديوان على رواية في كتب لادب مختلفة عن رواية النسخة الاصلية وكانت هي الصحيحة ، نرى الاوفق ان يثبتها في القصيدة ويشير في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية . مثلاً في هذا الشطر من شعر الطرمّاح : «ولو خرجَ الدجّال ينشدُ دينهُ» يروى (في اللسان ١٣ : ١٥٩) «يَنْشُرُ» عوض «يَنْشُدُ». «ينشر» هي الرواية الصحيحة . فكان الاوفق ان تُثبت في البيت ، ويُشار في الحاشية الى رواية النسخة الاصلية «يَنْشُدُ»

الاب غدفريد زموفن

بقلم الاب اسكندر طوران اليسوعي

في اول ايلول الماضي فاضت على مهل ، في كلية القديس يوسف ، روح الاب غدفريد زموفن اليسوعي بعد حياة طويلة ناهزت الثمانين عاماً .

وليس الاب زموفن رجلاً مجهولاً في بلادنا ، سواء كان لدى تلامذته العديدين الذين تبدلوا في صفه ، على مدة ثلاثين سنة ، يدرسون العلوم الطبيعية والرياضية ، او لدى قراء مجلة « المشرق » الذين طالما استفادوا من مقالاته النفيسة في اول عهدها .

وليس من الانصاف ان يخمد ذكره في فكر اللبنانيين ، وهو من العلماء الذين وقفوا حياتهم المدرسية في سبيل لبنان ؛ تاركاً مؤلفاً اغدق عليه الاختصاصيون اطيب الثناء ، الا وهو كتاب « جيولوجية لبنان » . درس فيه انواع طبقات الارض المختلفة في بلادنا فعاد له الفضل بتقرير معرفتها وتعيين اعمارها المتباينة ، بعد ان كان الاختلاف في هذا الامر مستحكماً بين العلماء الاوربيين المختلفي الجنسيات من فرنسويين والمانيين وايطاليين وانكليز . فانهم درسوا في ظروف شتى طبقات الارض اللبنانية ، ولكنهم لم ينتهوا الى قول فصل في زمن تكوينها ، قبل ان ظهرت آراء الاب زموفن .

ومن المعلوم ان تقرير زمن طبقة من طبقات الارض يستند الى ما يوجد فيها من المتحجرات (fossiles) والمطمورات المختلفة الخاصة بها ، اي التي لا توجد في غيرها . فصرف مؤلف « جيولوجية لبنان » اهتمامه الى جمع هذه المطمورات حتى حصل منها على شيء كثير وافر التنوع عثر عليه في نقاط مختلفة من لبنان . ثم اجتهد ، بواسطة كثير من الاختصاصيين الفرنسويين الذين كانوا على صلات متابعة معه ، حتى قابل المتحجرات اللبنانية بمتحجرات البلاد المختلفة المحفوظة في متاحف اوربة . فكان له من ثم وسيلة يقابل بها انواع طبقات الارض في لبنان بانواعها المدروسة غاية الدرس في اوربة . وهكذا تم له ان يحل تلك العقدة

التي كانت تجعل الخلاف بين آراء علماء اوربة فيما يختص بعمر الارض اللبنانية. وكانت نتيجة ابحاثه ان اقدم ارض معروفة في لبنان هي من العصر الجوراسي (Jurassique)

ومما امتازت به ابحاث الاب زمّوفن عن ابحاث زملائه من علماء الغرب طول المدّة التي كان في وسعه استعمالها للتحقيق والتدقيق. فان ما كان يخصصه رحّالة الاجانب من الوقت لدرس جيولوجية لبنان لم يكن يتجاوز بضعة اشهر. امّا الاب زمّوفن فتمكّن، بوجوده استاذاً في كلية القديس يوسف على مدة ثلاثين سنة، من تخصيص فرصه المدرسية طول تلك المدّة لزيارة انحاء لبنان وجمع الوثائق اللازمة من كل الجهات. حتى انهُ لم يترك نقطة يهمه امرها الّا تفقدها من البقاع الى البحر، ومن نهر القاسمية جنوباً الى النهر الكبير شمالاً. واي قرية لم تشاهد هذا الراهب، حاملاً كيس السفر على كتفه، ومعولاً صغيراً في يده، يقطع السهول، والاودية، والهضاب، والجبال، حتى اذا لفتت نظره حصاة صغيرة او قطعة من صخر، التقطها فلفها بورقة وكتب عليها اسم المحل الذي وجدت فيه. وكم من مرّة كان عليه ان يعاود صعود وادٍ من قعره حتى قمّته كي يتمكن من وصف جميع طبقات الارض التي كشف عنها السيل غشاءها السطحي.

ولم يكن عمله ينتهي بعد هذه الرحلات. بل انه كان يتابع دروسه في غرفته فيرتّب جميع غنائمه ويدرسها ويحلّلها.

هذا ما يشرح ما نراه في كتابه النفيس من التصاوير المتعددة لجميع طبقات الارض في لبنان. وكان هذا العمل قد قارب الانتهاء اذ شهرت الحرب العامّة. فعاد اليه صاحبه بعد الحرب ورتّب ما كان باقياً قيد البحث. ثم اراد تحقيق بعض النقاط الغامضة، فقام برحلات جديدة ازالت من عقله كلّ شك. فتمكن اذ ذاك من طبع المؤلّف النفيس مع خارطة لجيولوجية لبنان مُيّزت فيها كل طبقة من الارض بلون خاص يدلّ على تركيبها ودرجة قدمها. وقد ترك لنا عدا ذلك:

١ — مجموعة متحجّرات لبنان مرتّبة على اختلاف طبقات الارض مع

ايضاحات تُشير الى نوع المتحجّرة ومصدرها.

٢ — مجموعة موضحة ايضاً لمطمورات الأسماك في ساحل علما.

٣ — مجموعة اخرى لمطمورات الأسماك في حاقل (محافظة جبيل)

على ان اعمال الاب زموفن لم تنحصر في محيط الجيولوجية فحسب، بل تجاوزتها الى التفتيش عن الوثائق لعلم ما قبل التاريخ. فكان اول عالم قام في لبنان بابحاث متتابعة في هذا العلم.

ابتدأ سنة ١٨٩٠ بحفريّات في مغارة من وادي انطلياس قريبة من القرية. فاكتشف كثيراً من الادوات الظرّانيّة المنحوتة وعظام الحيوانات، المعاصرة سكان لبنان في الزمن السابق للتاريخ. فكوّن منها آثاراً نفيسة يراها المطالع في مجموعة نشرها بعد ذلك بسنوات وسمّاها «فينيقية قبل الفينيقيين»

ثم قام بحفريات وتنقيبات غيرها في الهضبات المجاورة لمصبّ نهر الكلب وفي مغاور النبع في جعيتا. ثم انتقل الى نهر ابراهيم، فنهر الجوز، فعدلون، فنهر الزهراني، فرمال بيروت. وقد توفّق في كلها، وترك مجموعة ظرّانيّة لكلّ من هذه المحطات.

وترك ايضاً مجموعات من عظام حيوانية وجدها مع الادوات الظرّانيّة المنحوتة. وتلك العظام آثار لحيوانات انقرض اكثرها من لبنان. ولكنها كانت تعيش فيه في العصر الذي عاش فيه شاغلو تلك الادوات الظرّانيّة، واهمّها الوعل الكبير، والخنزير البري، والدبّ، والكركدنّ، والثور الوحشي، مع ثلاثة انواع من الأيل.

كان الانسان السابق للتاريخ يصيد هذه الحيوانات، ولا سلاح له سوى الحجر الصوّاني الذي يحدّده ويستعمله كالفأس او يرشقه كالسهم فيرمي فريسته، فيأكل لحمها ويطرح حول مسكنه عظامها التي تراكمت على مرور العصور، حتى وصل الينا ما قوي منها على احتمال تقلّبات العناصر الجوية، وهي الاسنان والفكوك، فعرفنا منها انواع الحيوانات العائشة في ذاك الزمان. وهي، كما يظهر ممّا تقدّم، مختلفة جدّ الاختلاف عن الحيوانات الحاضرة. ولا عجب في ذلك بعد ان اضمحلّت الغابات الكثيفة التي كانت تغطي جبال لبنان

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثاني

الامير جهجاه (تابع)

ولم تمرّ دقائق حتى وصل المسافران . فترجّل غانم ، واسرع مسلماً على الامير جهجاه . فتلقّاه فاتحاً ذراعيه ، وعانقه طويلاً . ثم التفت الى فرحات فقبّل هذا يده ، وتأخر عنهما قائداً الفرس بتمهل .

وكانت عينا الامير لا تزالان عالقتين بوجه حفيد صديقه ، يتأمل ذاك الشباب المتدفق من كل جوارحه ، ويسرّ بتلك الحياة السارية في كل عروقه . بينا كان غانم تارةً يخفض عينيه حياء ، وطوراً يسترق النظر الى قامة الأمير فيعجب بتلك البنيةِ الراسخة ، ناقلاً نظره من الجبين العريض ، الى الصدر العريض ، الى الكتفين العريضين ؛ ويُكبر العزم والهمّة في شيخ ادرك الستين ولا يزال يقتحم غمرات الحرب كابن عشرين . . . ثم انتقلت به الفكرة ، بسرعة البرق ، الى كلمة كثيراً ما ردّدها امامه جدّه الشيخ ، اذ كان يأتي على ذكر الامير جهجاه ، فيقول لغانم : « انه يشبه اباك كل الشبه ، وا حسرتي عليه ! هكذا كان ابوك ، رحمه الله ، عريض الجبهة ، عريض الكتفين ، عريض الصدر . . . » وذهب يفكّر انهُ لولا وقعة عانوت سنة

١٧٨٣ ، لكان يتمتع الآن برأى والده بتلك العافيــة التي يرى فيها الامير جهجاه ، ولكان يرى شاربيه الخرنوبيين يقسمان وجهه المتجعد ... ولم يكد يسترسل الى حزنه هذا حتى قطع الامير مجرى افكاره ، فقال :

— وكيف تركت اخي الشيخ بو غانم ؟

— بكل خير يسأل خاطر سعادتكم . وقد ارسلني بمهمّة دقيقة احب ان ابسطها امامكم على انفراد.

وكانا قد قربا من دار الامير ، فشاهد غانم رتاجاً ضخماً يقود الى دهليز فسيح ، طالما اختبأ في زواياه ، اذ كان يلعب في السنوات الغابرة مع الصغيرة بدور ؛ ولكنه لم يكن انتبه قبل اليوم الى ضخامة البناء ، وارتفاع السور ، ومناعة الدار . فظهرت على وجهه ، امائر العجب والاطمئنان ، ممزوجة بعاطفة خفيّة من الأمل بلقاء رفيقة ألعابه الصبيانية ، والرهبة من لقائها ايضاً . تلك الرهبة التي تدفع الانسان الى البعد عن الخطر والى اقتحامه في وقت واحد ، والتي يشعر بها المحبّون المخلصون الاوفياء اذا ما دنا اجتماعهم بعد غياب طويل . فهم يرغبون كل الرغبة في الاجتماع القريب ، ولكنهم يخافون من ان يكون البعاد احدث تغييراً في تلك المحبة الخالصة . فلا يزالون بين الرغبة والرهبة حتى تخلّصهم الحوادث من ذاك التردد المزعج .

واذ رأى الخدم اميرَهم مقبلاً ، اسرع احدهم فاقتاد الفرس الى الاصطبل ، وتحوّل آخر مع فرحات الى غرفة سفلى . بينا كان غانم يصعد مع الامير ، الدرجات القليلة امام الرتاج ، وقلبه ينبض بسرعة ، وفكره مشغول بامور كثيرة منها تلك المسألة المهمّة التي اتى من اجلها . وقد كان باشدّ الحاجة الى الراحة ، فاستقبل عمل الامير بكل ارتياح ، عندما اخذه هذا الى غرفة منفردة حسنة الرياش ، ووكل بخدمته ثلاثة من الخدم كي يريحوه من وعثاء السفر ، ويكونوا قيد إشارته في كل ما يطلب .

بعد ساعة رجع الأمير فسأل ضيفه عن صحته ، فاستقبله هذا بكل بشاشة شاكراً له اهتمامه . ثم اختليا ، فقرأ غانم التحرير بصوت خافت وهو ينظر ،

بين الفَينة والفَينة ، الى ملامح الامير تنقبض ، والى تجعُّدات جبينه تتعمّق ، والى باصرتيه يلمع نورهما . ومـا ان فرغ من القراءة ، حتى استقام الامير في مجلسه ، وقال بصوت جمع فيه كل ما عنده من الرزانة والطمأنينة :

— عندي !

وسكت قليلاً كأنه يلتذ بذاك القصد الذي اتخـذه في سبيل مساعدة اميره. ثمّ اتجهت افكاره في شعب مختلفة ، فجعل يعظم قدره شيئاً فشيئاً اذ يرى نفسه ملجأ يقصده الاصدقاء ، وملاذاً يطرق بابه ارباب الحاجات ، وغوثاً يمدّ بمعونته الامير بشير نفسه ... عند ذاك تذكّر مـا كان يردّده الخوري يوسف ، اذ كان يشرح له اسم ضيعته « بعذران » فيقول انهُ من السريانيـة « بيت عُدران » ومعناها « المعونة » « والاغاثة » ، ويتمنّى له ان يحقّق المسمّى الاسم على الدوام ...

ثم التفت الى غانم بشيء من العُجب والإخلاص ، واردف :

— وعليّ اتمام الباقي !

وانتبه اخيرًا الى سفر غانم ، فشقّ عليهِ ذلك اذ كان يحبّ حفيد صديقه ، وابن رفيقه ، حبًّا يوازي حبّهُ لابنتهِ ، فعاود ملامحه الانقباض ، وقال بصوت خافت :

— وانت ؟ كيف تسافر وتتركنا ؟

فحنى الفتى رأسه كي لا يظهر ما على وجهه من الاحمرار ، واجاب بصوت لا يقلّ ضعفاً :

— تلك ارادة جدّي !

فأراد الامير ان يصرف هذا الهمّ عن قلب الفتى ، ويريح فكره قليلاً ، فتكلّف الابتسام وامرّ يده بلطف على خدّ غانم المتورّد ، وقال بحنوّ :

— قم بنا الآن نزور امرأة عمك ، ونسلّم على بدور.

الفصل الثالث

بدور وغانم

كانت « امرأة عمه » ، اي الاميرة سعدى ، سيدةً في الخامسة والاربعين من عمرها ، ممشوقة القامة ، دقيقة الأطراف ، لا يزال على وجهها مسحة من الجمال على الرغم مما قاستهُ من العذاب العقلي ، في اول زواجها ، كي توفّق بين اذواقها واذواق الامير جهجاه . كان هذا «اميراً» بكل ما كانت تحويه تلك الكلمة من الصفات في ذاك الوقت ، اي حادّ الطبع ، سريع التغضّب ، كثير الاوامر ، لا يحتمل معاكسة ، ولا يطيق تردُّداً ، ولا يتصوّر ان في الكون من يمكنه ان يعصي لهُ امراً ؛ وقد رأيناه يترك دينه ، واهله ، وارزاقه على اثر خلاف مع احد ابناء عمه .

امّا سعدى فكانت من افضل بنات المشايخ ، واتقاهنّ ، واسماهنّ عقلاً ، واعمقهنّ فضيلةً ، اشتهرت بين أترابها بالتعقّل ، وطول الأناة ، وبغض الملاهي ؛ حتى انها لم تكن تشترك الّا نادراً بالحفلات التي كانت تُقام على اثر الانتصارات ، وهي لا تكاد تعرف نقل رجليها للرقص ، ولا تحريك اصابعها على الدربكّة .

وكان ان الخوري يوسف ، خوري بعذران وما جاورها ، اراد ان يخفّف من غُلواء الأمير جهجاه بعد تنصُّره ، فكلّمه في امر الزواج ، وهداه الى تلك الفتاة . امّا اول اسئلة الامير عن شريكة حياته ، فكان عن اصلها . واذ علم انها ليست من الامراء اشمأزّ قليلاً ؛ ثم قبل ، نكايةً بأهله . وهو ، لولا ذلك ، لم يكن يتصوّر انه يتزوّج بفتاة من بنات المشايخ . حينئذٍ استسلم لارادة الخوري يوسف فكلّله في حفلةٍ مهيبة كانت الاولى من نوعها لصفتين غريبتين : اولاهما تنصُّر الامير الشيعي ، وثانيتهما ، وكانت اعظم من الاولى في نظر الكثيرين ، تنازل امير الى الاقتران بفتاةٍ ليست من مقامه . وعليهِ فلم يكن من الغريب ان يجتمع ابناء القرى العديدة في تلك الحفلة ،

فيقيموا العرس عشرة ايام بلياليها تتوالى فيها الولائم والالعاب المختلفة.

ولم يكن الامير رأى امرأته الّا على مرتبة الاكليل ، فعجب لذاك الجمال في غير بنات الامراء . واختبر ، فيما ولي من الايام ، ان في غير الامراء ايضاً صفاتٍ واخلاقاً لا تُحتقر كلها . على انه لم يكن ليستطيع كبح جماح غضبه بعض الاحيان ، فيبدو حانقاً كانه لم يغفر لزوجته ذنبها الاعظم بولادتها في أسرة تنحطّ عن أسر الامراء . حتى أنعم عليهِ المولى ببدور ، فتعلّق بها تعلّقاً شديداً وجعل منها أمل حياته الوحيد . واصبح ، بفضل تلك الصلة التي يجعلها الله اضمن واسطة للتوفيق بين الزوجين ، واقوى دافع للجهاد العائلي المتضامن ، دمِث الاخلاق ليّن الطباع ، لا يكلّم امرأته الّا بلطف ، ولا يأمر خدمه إلّا بهدوء ، ولا يحسن لفقير الّا باتضاع . فرسخت هيبته في القلوب اذ احاطت بها المحبة ، واشتدّت وطأته في البلاد اذ زانها الاعتبار والاحترام.

وفي صيف سنة ١٧٨٢ ، على اثر اخماد هياج الجانبلاطية الذي حصل بسبب ضريبة التوت ، دعا الامير جهجاه صديقه الشيخ بو غانم مع ابنه غانم لقضاء مدة في اعالي بعذران . فاقبلا ومعهما الولد الصغير ، وعمره اذ ذاك نحو الست سنوات ، وكانا قد اسمياه يوسف . فاقاموا شهراً في اهنأ عيش . وكان يوسف الصغير يقضي ايامه باللعب مع بدور ، التي كانت تصغره بنحو سنتين . حتى اذا اقبل المساء جلسا يتحادثان ، فيتبادلان الحكايات العديدة التي كان يقصّها على كل منهما بعض الاهل والخدم . او يرميان بنظريهما الى نقاط الافق البعيد ، وقد كلّلها المساء الأغبر بستاره ، فاتصل الضباب بقمم الجبال واطراف السماء ؛ فكان يوسف يُري رفيقته ، في تلك الهنات من الغيم ، جميع انواع الحيوانات الضارية باختلاف اشكالها . وربما شاهدا ، في بعض المنعطفات المظلمة في اسفل الوادي ، غير ذلك من الاشكال المخيفة كحيوانات لا وجود لها الّا في مخيّلة الصغار ، او جبابرة قهّارة من فصيلة الجان المفزعة.

كل هذه الألاعيب والمحادثات كان يراها ويسمعها الامير جهجاه وامرأته وضيفاهما ، فيرعونها بكل انتباه ، وفي دماغ كل منهم يجول فكر واحد ، وهو ان « بدور ليوسف ويوسف لبدور ! » ولكن لم يكن احد منهم يبدي ذاك

الفكر ، لاعتبار الست سعدى ان الأمر في ذلك لزوجها ولا رأي لها الّا الموافقة عليه ، ولاعتبار الامير ان ذاك المشروع سابقٌ لأوانهُ . اما الشيخ بو غانم وولده فلم يكونا يصدّقان بعد ان الامير يرضى بزفاف ابنته الى احد ابناء المشايخ . لم يكونا يصدّقان ، ولكنهما كانا يشعران الشعور التام انه لن يكون الّا كذلك . اما الصغيران فلم يكن يهمّهما من تلك الافكار الخفيَّة شيء . سوى انهما كانا يُسرّان غاية السرور ، اذ يلعبان معاً او يتحدثان معاً . حتى انهما لم يشعرا بعزم الاهل على الفراق حتى دخلا في حزن عميق تحوّل ، ساعة السفر ، الى بكاء وعويل

* * *

مرّت الشهور على تلك الزيارة ، فكانت المؤامرة على الامير يوسف في دير القمر ، بتدبير اخويه الامير سيد احمد والامير افندي مع بعض الجانبلاطية . وكان مقتل الامير افندي وهرب الامير سيد احمد الى المختارة ، وهياجه الشيخ حسن جانبلاط والشيخ عبد السلام العماد ، ومسير الجميع على دير القمر . ثم هرب الامير يوسف الى عكار ورجوعه بعسكر الجزار . وكانت وقعة عانوت المشؤومة على بيت الشيخ بو غانم ، اذ قُتل فيها وحيده غانم تاركاً ذاك الطفل يتيماً من الوالدين ، لان امه كانت قد توفيت على اثر ولادته . فحزن جدّه عليه كل الحزن ، واستبدل اسمه « يوسف » باسم ابيه « غانم »، وانقطع عن كل اشغاله منفردًا في قصر الشربين مع الوحيد الصغير ، مخصِّصاً ما بقي من حياته لتنشئته على اساليب الشهامة اللبنانية

اما الامير جهجاه فكان وقع النبأ شديدًا عليه وعلى جميع اهل بيته ، فأقام لصديقه مناحة لائقة . ثم قدم مع اهل بيته لتعزية الشيخ بو غانم فمكثوا مدة كان الامير جهجاه يتنقل في اثنائها مع عسكر الامير يوسف ، من الشوف الى البقاع ، الى حاصبيا ، الى بلاد جبيل ، الى جبال عكار . حتى اواخر سنة ١٧٨٥ ، اذ أمن الجزار الامير يوسف وامر مدبّره ان يكتب الى الشيخ سعد برجوع الامير الى بلاده . فعاد الامير جهجاه باهله الى بعذران

ولما كان تعلق الولدين احدهما بالآخر يزداد يوماً فيوماً، استأذن الامير جهجاه صديقه باخذ غانم معه، كي يروح عن نفسه بقضاء مدة في تلك المرتفعات. وكان قد عرض على الشيخ ان يعقد خطبة وحيده على بدور من ذاك الحين، حتى اذا اصيب الابوان باحدى غوائل الحرب، لا سمح الله، يكون مستقبل الولدين مقرراً. فسر الشيخ لهذا التنازل من الامير، ورأى ان الايام ستحقق ما كان يرجوه ويخشى من عدم تنفيذه؛ فاتفق مع الامير والست سعدى على ذاك الامر وسلم الولد «لعبه» كي يقضي مدة في بعذران. وكانت تلك الايام السعيدة التي تذكرها غانم اليوم، اذ ظهر امامه الرتاج الضخم والدهليز الفسيح بزواياه العديدة ...

***

كانت الست سعدى، في ذاك الصباح، على السطح تستقبل اشعة الشمس، والمغزل بيدها تارةً تفتله برشاقة فيبرم ساحباً وراءه خيط الصوف طويلاً دقيقاً، وطوراً تلتفت نحو المزرعة، فتتجه افكارها الى زوجها، واعماله وتفقد مراكز رجاله والاخطار التي تحيق به، فتخاف ان يكون اصابه شيء.... وتريد ان تتحقق هل تأخر عن ميعاد رجوعه، فتنظر الى حيث بلغت أشعة الشمس من الدار، فتطمئن اذ ترى انها لم تتجاوز الحوض بعد. وبينا هي كذلك اذ لمحت زوجها يسير مع رجل آخر، ووراءهما ثالث يقود فرساً خيل اليها انها تعرفه. فأسرعت بالنزول عن السطح، واشارت الى الخدم باستطلاع طلع القادمين. ودخلت الى دار صغيرة مختصة بالنساء، كانت فيها بدور تسقي بعض النباتات الغضة زرعتها بيدها، وسهرت عليها حتى ازهرت، فكان فيها الزنبق الابيض، والفل المكبس، والقرنفل الاحمر والبرتقالي، والمنثور الابيض والبنفسجي، مما كان يعجب به ابوها، اذا جاء مساء وجلس يدخن الماسورة امام بستان بدور الصغير الجميل

وما هي دقائق حتى عاد الخادم نمر واخبر الست بوصول غانم. فاضطربت بدور قليلاً، واسرعت مع امها تستعد لمقابلة رفيق صباها، لانها لم تكن تحتجب عنه، ولا امها عن اهله

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Landesdorfer O. S. B. : Die Kultur der Babylonier und Assyrer. [*Sammlung Kösel*, 61] 2. *neubearb. Aufl., mit* 32 *Tafelbild. u.* 1 *Karte. München, Kösel-Pustet*, 1925.

تمدّن البابليين والاشوريين

من المعلوم ان الالمانيين اعتادوا الكتابة في الامور العلمية وبسطها بسهولة لدى الجمهور . وما مجموعة كوزل الكاثوليكية في مونيخ إلّا مثال من كثير على هذا الامر ، ومنها هذا الكتاب الصغير المؤلف من ٢٤٢ صفحة بقطع ١٦ يُعيد به الاب البنديكتي العالم لاندسدورفر ، للمرّة الثانية كتاباً ظهر سنة ١٩١٣ ، بعد ان اصلح فيه اشياء ، مستفيداً من الاكتشافات الحديثة على قدر الامكان ، لاسيا فيما يتعلق بالتوقيتات والدول الاشورية التي تجدّدت كل لوائحها تقريباً في السنوات الاخيرة . يعرض المؤلف اولا للبلاد التي يدرسها ثم لتاريخ الاكتشافات ، فتطوّر السياسة في بابل واشور ، فذِكر المدنية فيها من مادية ودينية واجتماعية واقتصادية وعلمية . ومما يزيد رونق الكتاب التصاوير الحسنة ، فيصبح دون شك موافقاً لما تتمنى الطبقة من القرّاء التي ترغب في امثاله س . ر

Léon Ostrorog : The Angora Reform. *University of London Press Ltd. London*. 1927

اصلاحات انقره

الف هذا الكتاب احد الاختصاصيين بالشرع الاسلامي ، وتوخى فيه تعيين المحطات التي قطعها المتطرفون في انقرة في البلوغ الى اصلاحاتهم الاخيرة . فالمحطة الاولى هي نصّ قوانين سلاطين بني عثمان ، ثم تنظيمات القرن التاسع عشر وكثير منها لم يكن ليطابق الشرع الاسلامي بكماله ، ثم الحركة الطورانية الوطنية ، واخيراً النجاح في محاضرة لوزان وقال : اعلنوا في دستور

الجمهورية التركية ان الاسلام هو دين الدولة ، ثم اتخذوا القانون السويسري فاسقطوا من ثمّ ذلك البند من دستورهم بالامر الواقع (ص: ٩٤) هـ.ل

Styger (Paul): Die altchristliche Grabeskunst. *Ein Versuch der einheitlichen Auslegung*. 123 *pp. gr.* 8°, 30 *fig. sur pl.*, 1927. *München. Kösel-Pustet.*

فن الأضرحة في العصور المسيحية الاولى

ان الكتاب الذي نقدّمه اليوم لقرّائنا الشرقيين ، والذي يلذّ لهم خصوصاً لبحثه في الاصول الاولية للنصرانية ، هو من انفس الكتب التي ظهرت في السنين الاخيرة عن الفنّ المسيحي . فان الاستاذ سطيجر الذي اشتهر مديراً للحفريات في طريق ابيا (Via Appia) يرغب في إن يبيّن ان النظرية الرمزية، التي كثيراً ما اطرأها حتى اليوم اكثر الاختصاصيين بفنّ الاضرحة المسيحية على الجملة من ديماميس ونواويس ، لا تثبت لدى حقيقة الواقع . فان الباحث يكتشف في فرعي الفنّ (التصوير في الديماميس ، وعمل النواويس) ٢٧ مثالاً مأخوذاً من العهد القديم (كسقوط آدم وحوّاء ، ونوح في سفينته ، وذبيحة ابراهيم ، وحكاية يونان الملقى في البحر ، ودانيال في جب الاسود الخ ...) و٤٠ مثالاً مأخوذاً من العهد الجديد (كالبشارة، والزيارة، والمجوس، ومعمودية السيد المسيح ، وقيامة الفتى في نائين ، والراعي الصالح ، والآلام بتفاصيلها الخ ...) و ٤ امثلة مأخوذة من اعمال الرسل ، و ٧ من اناجيل الزور . ففي كل هذه المواضيع التي تظهر في بنايات الاضرحة ، شاء اصحاب النظرية الرمزية ان يروا رموزاً وتلميحات الى الحياة الاخرى في ما وراء القبر ، والى الفردوس ، وسرّ الافخارستيا ، وخلاص النفوس الخ ... على ان المؤلف يقول انه يلزم طرح كل هذه الاستنتاجات او اعادة درسها مجدّداً . فهنالك مواضيع كثيرة لا علاقة لها بحالة الاموات ! وفضلاً عن ذلك فان مقابلة هذه الآثار مع آثار مسيحية غيرها لا دخل لها بالأضرحة ، تظهر دائماً الصور نفسها الموجودة في الديماميس والنواويس . فيتضح ان هذه الامثلة كانت جارية في الحياة العادية المسيحيين الاولين وكانوا يستعملونها في كنائسهم ، وبيوتهم ، وعباداتهم

الخاصة وغير ذلك. ومن ثم نرى ان المعنى نفسه — وهو معنى تاريخي قصصي — كان يُعبّر عنه بالامثلة نفسها سواء كانت الآثار خاصة بالاضرحة او لا دخل لها بفكرة الموت

اما الامر الذي أخّر العلماء في سبيل الشرح الحقيقي لهذه الرسوم فهو قلة الآثار النصرانية القديمة في ما سوى الداميس والنواويس، وعدم اطلاعنا اطلاعاً كافياً على اصول الفنّ المسيحي الاولية. وقد بدأ الشرق بايضاح هـذا الموضوع ولكن ايضاحه لا يزال قاصرًا عن اقناع الجميع . فنؤمل اذن ان الحفريات في بلادنا الشرقية تأتي بايضاحات وافية في السنين المقبلة س . ر

Dom Fr Josaphat Moreau: Les Anaphores des liturgies de St J. Chrysostôme et de St Basile, comparées aux canons romains et gallicans. *vol. in-12° de 112 pp.* 1927. *Paris, Bloud et Gay.*

تقدمة التقديس في الليتورجيات اليونانية والرومانية

اراد المؤلف ، وهو من رهبان البنديكتيين من دير ليغوجي (Ligugé) ، ان يطلع الغربيين على جمال الكلمات التي كان يستعملها آباؤنا في التقديس ، فاختار لذلك عبارات التكريس في اهمّ الليتورجيّات اليونانيّة وقابلها بعبارات التكريس في الليتورجيّة الرومانية القديمة ، والليتورجية الحالية . وغايته من ذلك ان يعمل في سبيل اتحاد الكنائس

G. Giannelli : La Magna Grecia da Pitagora a Pirro. Parte Ia Gli stati italioti fino alla costituzione della lega dei Brusi. *con tre carte fuori testo.- Publicazioni d. Università cattolica del Sacro Cuore. Serie quinta: Scienze storiche. vol. IX. Milano, Soc. editrice « Vita e Pensiero » . Prix : 10 lires.*

بلاد الاغريق الكبرى

يدرس مؤلف هذا الكتاب ، وهو استاذ التاريخ القديم في جامعة ميلانو الكاثوليكية ، بلادَ الاغريق الكبرى، اي ذاك القسم من ايطالية المنتهي بشبه جزيرتين والذي احتلّته الطوارئ اليونانيّة في الزمن القديم . فيبدأ في القسم الاول بتاريخ الدول في تلك البلاد حتى تأليف الاتحاد بين سكان بروسيوم .

ويُلحق ذلك بجدول يدرس فيه المسائل التوقيتيَّة في الحروب الفينيقيَّة الثانية ، وعلاقات الطاغية دنيس السياسيَّة مع مدينتي رجيو ولوكري ، ثم توقيت حرب دنيس في ايطالية وسقوط مدينة رجيو . ويزيّن هذا الكتاب ثلاث خارطات غاية في الجودة والاتقان ج . ل

Sorrento (Luigi) : Francia e Spagna nel settecento. Battaglie e sorgenti di Idee. *Publicazioni della Università Cattolica del Sacro Cuore. Serie quarta : Scienze filologiche, vol. VIII. Milano. in-8° de 300 pp.*

فرنسة وأسبانية في القرن الثامن عشر : حركة الافكار ومنازعها

ان الاقبال على مقابلة الآداب بعضها ببعض يدفع المؤلفين الى ابحاث غاية في الطرافة والدقة . ومنها موضوع هذا الكتاب الذي يخصّه المؤلف بفرنسة واسبانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، اذ بدأت اللغة الفرنسوية بالسيادة ، فبيّن كيف ان اسبانية كانت تعارض هذه الحركة ردا على الحملات التي كان يحملها كتبة فرنسة على المدنية الاسبانية تجاه المسألة الجارية في ذلك العصر : بماذا نحن مدينون لاسبانية ؟ وكان ادباء ايطالية ومدنية يناصرون حركة الاسبانية اذ ذاك . يعرض المؤلف كل ذلك باسلوب سهل مستندا الى وثائق عديدة فيجمع بين وفرة اللذة وكثرة الفائدة ج . ل

Duguet (Raymond) : Un Bagne en Russie rouge ; Solovki, l'île de la faim, des supplices, de la mort. *in-12° de 289 pp.*, 17 *hors-texte*. *Prix*: 12 *fr*. *Paris, éditions Jules Tallandier.*

لومان في روسية الحمراء : سولوفكي جزيرة الجوع والعذابات والموت

ليس المؤلف بالمبتدئ في ابحاثه الروسية فقد نشر سابقاً كتاباً عن « موسكو وجيورجية الشهيدة » وصفه « المشرق » في حينه . وها هو اليوم يقود قرّاءه الى منطقة متجلّدة في البحر الابيض ، الى جزيرة كان اثنان من الرهبان حوّلاها الى مكان مقدس ، ولكنها اصبحت اليوم ، بعد ان نُهبت وأُخربت ، لوماناً يتألم فيه اكثر من ١٥،٠٠٠ مسكين قُضي عليهم بالعذاب فيقاسون امرّه منتظرين الموت بفروغ صبر . على ان المحكومين السياسيين

اتعسهم حياةً واشدّهم عذاباً اذ لا أمل بخلاصهم ، فتلك الجزيرة جحيمهم الخالدة . كان الناس يتكلمون ، في ايام القياصرة ، عن سيبيريا ومشقاتها ، ولكن جزيرة سولوفكي أنست بعذاباتها وآلامها، على عهد الاستبداد السوفيتي، كل ما تقدّمها من اساليب الانتقام . اقرأوا هذا الكتاب تروا عبرًا كثيرة

Benoist (Charles): La question méditerranéenne. *Prix*: 15 *f*. *Editions Victor Attinger, Neuchatel-Paris*, 1928.

مسألة البحر المتوسط

يذكر الكاتب انّ من ديدنه جمع الوثائق وتأليفها. ولكنه تحقق ان من كان يجمع لهم هذه الوثائق لم يستعملوها قط . هذا كان شأنه في مسألة مراكش ، وفي صلح سنة ١٩١٨ ، «فهم يخترعون، كما يقول ، كل ما لا يصدر من عندياتهم » . فهل يكون الجمهور اكثر اقبالًا على هذه الوثائق من رجال السياسة ؟ ذاك ما يرغب فيه المؤلف وهو يقدّم للجمهور هذا الكتاب الخاص بمراكش وتونس ، الحافل بالمعلومات الدقيقة النافعة عن تونس خاصةً. اما شرقي البحر المتوسط فلا يكاد يتعرّض له

de Moreau (Edouard) s. j. : St Amand, apôtre de la Belgique et du nord de la France. *vol. in-8° de 367 pp.* 1927. [*Museum Lessianum, section missiologique n° 7*]

القديس امان رسول بلجيكة وشمالي فرنسة .

لا تقوم فائدة هذا الكتاب بايقافنا على حياة اسقف قديس من القرن السابع فقط ، بل باطلاعنا على جدول دقيق عُرضت فيه التنظيمات الكنائسية في ذاك العصر ، مع طريقة التبشير في تلك البلاد

Dourmoussis (E.) : La vérité sur un drame historique : La catastrophe de Smyrne, septembre 1922. *in*-12, 1928. *Paris, Librairie Caffin.*

الحقيقة عن مأساة تاريخية : نكبة ازمير في ايلول ١٩٢٢

لا يزال البعض يذكرون نكبة ازمير الهائلة بعد ان مرّ عليها عدة سنين. ومنهم صاحب هذا الكتاب ، وقد هلك اخواه في تلك المذابح ، فاراد اقرار

التبعة على المجرمين . على ان قيمة الكتاب ليست بالحملة على الاتراك ودولِ اوربة وتجريمهم جميعاً ، بل بما يعرضه المؤلف من دقائق تاريخ اليونان في ذاك العصر وهو أمر لم يكن اوضحه احد بعد

Annuaire pontifical catholique pour 1928 ; *vol. in-8° de* 928 *pp.* 200 *illustr. Prix* : 35 *f. Bonne Presse,* 5, *rue Bayard, Paris,*

الدليل البابوي الكاثوليكي لسنة ١٩٢٨

لا شك ان قرّاء الدليل العديدين يستقبلون هذه الطبعة الجديدة بسرورهم المعهود ، لما يظهر فيها من الافادات والمعلومات الوافرة التي تزداد وتتحسن سنة فسنة . ومما يجدر بالذكر في هذه الطبعة،فضلاً عما تقدم،ملحقان مهمّتان تحتوي اولاهما على اسماء كرادلة القرن الثالث عشر مع تراجمهم ، وثانيتهما على اسماء سفراء الحبر الاعظم في فرنسة مع تراجمهم ايضاً . وهناك مقالة مفيدة عن الكرادلة الذين قدموا استعفاءهم

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

كبير ، ص: ك+١٨٩—مطبعة الاعتماد ، مصر ١٣٤٥ — ١٩٢٧

ان سيرة الرسول ، والسور المدنية من القرآن ، لا تنفك عن ذكر اليهود ، ولهم فيها مكانة لا يستهان بها ؛ ذلك ما يُخوّل هذا المؤلف اهميته الخاصة . وهو تاريخ علمي لليهود في الجزيرة وضعه صاحبه عن استعداد واقتدار بعد ان وقف على المصادر العربية وفحصها ، واستقى من آراء المستشرقين احذقها ، واستغلّ المآخذ العبرانيّة وضبطها ، فاستوضح من ثمّ مغمضات عديدة لم يسبقه اليها غيره من العرب . فمن امثال ذلك شرحه للفظة حنيف (ص: ٨١) فانه جدير بالاعتبار ، وتنقيبه عن العلل التي سببت غزوة بني النضير (ص:١٣٥) . على انه بالغ في قوله (ص : ٩) ان سكان فلسطين كان عددهم في سابق الزمان ينيف على ٤ ملايين،والحقيقة انهم لم يكادوا يجاوزون ربع ذلك المبلغ .

ولا نوافقه في قوله (ص : ٤٥) : « ان نجران لم تكن سوى بلـدة صغيرة » وقـال (ص : ٧٢) ان اليهود لم ينشروا دياناتهم في الجزيرة ، فنرى ان قوله هذا والحقيقة على طرفي نقيض . ومن غريب ما جاء به (ص : ٩٤) انه نسب الينا رسالـة عنوانها (Les Juives à la Mecque) « اليهوديات في مكة » (كذا !) وروى عنا « ان عددًا من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الاسلام» والواقع اننا في بحثنا عن اليهود في مكة — لا عن اليهوديات — « Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire » اثبتنا انه لم يكن فيها احد منهم قبيل الهجرة . فإما ان المؤلف لم يقرأ رسالتنا ، او انه قرأها فلم يفقهها . وفي الكتاب بعض الاغلاط بالنصوص الافرنجية وددنا لو لم نرها تشوه صفحته ؛ وهو بالجملة قيم ، حقيق بالثناء. ه . ل

امير الارز

بقلم الخوري حنا طنوس بصبوص المعادي

صغير ، ص : ٩٦ – مطبعة دير سيدة المعونات (جبيل) ، ١٩٢٨

طالما صفق اهل بيروت لروايات حضرة الشاعر الناثر المعروف الخوري حنا طنوس . وهو يتابع تلك السلسلة الرشيقة في فن التمثيل العربي فيهدي الينا رواية تاريخيــة تهذيبيَّة ، جمعت بين النثر والشعر ، وتخلل فصولها غناء موقع على الموسيقى العربيَّة . فاتت تحفة وطنيَّة لا تقل في شيء من اثارة العواطف وهياج التأثير ، عن سالفاتها ، وان نهج فيها المؤلف نهجاً جديدًا قد يخرج قليلاً عما عُهد فيه من حب القواعد المدرسيَّة المقرَّرة لهذا الفن ف.ت.ب

كتاب الخراج

للقاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم

كبير ، ص : ٣٠٤ – المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦

قيمة هذا الكتاب في موضوعاته ، وقدمه ، واسم مؤلفـه : فهو يبحث ليس في الخراج فقط بل في ادارة الدولة حسب الشرع الاسلامي . وقد كانت

طبعته الاولى في بولاق (١٣٠٢ هـ) اصبحت نادرة فضلاً عن سقمها . فقام احد الافاضل — وهو لا يذكر اسمه — بتجديد طبعها في المطبعة السلفية بعد ان قابلها بنسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية ، وكنّا نودّ الاطلاع على بعض ايضاحات عن هذه المخطوطة . وفي الطبعة الجديدة تعاليق نقدية وفهارس متعدّدة تستحق كل ثناء . على انه ورد في الصفحة ٢٥٦ جَيْرون ، والصواب حَبْرون كما يدلّ عليه النصّ وحبرون هذه مدينة في فلسطين ، اما جيرون ففي الشام

هـ . ل

العلم والعمران

هدية المقتطف السنوية ١٩٢٨

مطبعة المقتطف والمقطم بمصر

هذا الكتاب يشتمل على ٢٤ مقالةً او خطاباً ظهرت معربة في المقتطف سابقاً ، ثم جمعت واعيد طبعها ، وفي الاعادة افادة لمن يرغب في مطالعة خطب مجمع تقدّم العلوم البريطاني . وقد توخى فيها اصحابها تقريب العلوم الى فهم العامة فجاء الكتاب سهل المنال ، سائغ المطالعة ، مسبوكاً بلغة عربية متقنة . وقد ذلّل المعرّب كثيراً من العقبات التي تحول دون نقل الكتب العلمية الافرنجية الى امتنا . فنشكر للمقتطف هديته

ف . ت .

رَجب افندي

تأليف محمود تيمور

المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٢٨

هما قصتان تتسلسل وقائعهما تحت سماء مصر . وصف بها المؤلف نفس بعض مواطنيه من الطبقة الوسطى والحقيرة ، فابرز ، في تحليل دقيق مصيب ، ما تكنّه تلك النفس في بعض مواقفها من الفزع المتطرّف والرهبة المفقدة للرشد . ومن هذه الوجهة القصتان صفحة من حياة الشعب المصري الاجتماعية في ايامنا . والكتاب في ١٤٧ صفحة مزين برسوم عديدة بعبارة منسجمة ، ولغة متينة ، وانشاء حيّ

ب . ا

الرجل الذي لا يعرفه احد

بقلم بروس برتون . ترجمه الارشمندريت انطونيوس بشير
عني بنشره الشيخ يوسف توما البستاني- مكتبة العرب بمصر ١٩٢٨

من هو الرجل ؟ هل هو الانسان الذي عاش في اليهودية والجليل منذ عشرين قرناً وصنع العجائب وبرهن بها عن لاهوته ؟ هل هو الاله الحق ابن الله وابن البتول ؟ هل هو سيدنا يسوع المسيح الذي يؤمن به الشعب المسيحي في الشرق والغرب ؟

قال بروس برتون صاحب الكتاب، واردف بعده الارشمندريت انطونيوس بشير : «هذا الرجل لا يعرفه احد»

فضرب مؤلف الكتاب صفحاً عن معرفتنا التقليدية لشخص السيد المسيح، وجاءنا بصورة ذلك الرجل، لا كما رسمها الانجيل ولكن كما تفننت بها مخيلته . فلا اقل من القول انه شوّه وجه الحقيقة التاريخيّة وقاوم الرأي المسيحي العام . قال (وجه ١٥) « قد اساء علماء اللاهوت كثيراً الى جمال حياة يسوع المسيح بزعمهم انه قد عرف جميع الحوادث التي جرت في حياته منذ ولادته » فاذاً، بزعم المؤلف، لم يعرف الرب يسوع تلك الحوادث قبل وقوعها عنده، كما لو لم يكن إلهاً. فاعتقاده هذا ضلال كفري . وهو يضع الرب يسوع في مصاف الرجال العظام لا غير، وهم عنده : « يسوع الناصري، وبوذا، وأسوكا، واريسطو، وروجر باكون، وابراهيم لنكلن » (وجه ١٦٥) فأنكر بذلك لاهوت المسيح . وذكر سيدتنا مريم العذراء (وجه ٥١) فقال « انها لم تعش بدون الشكوك الكثيرة في حقيقة ابنها » فجاء كلامه مناقضاً لما رواه الانجيل (لوقا: ١) وفي الكتاب اضاليل عديدة لا مجال لذكرها، وفيه اغلاط لغوية ونحوية فادحة يراها المطالع في صفحات عديدة منها ١٥١، ١٦٢، ١٥٤ وغيرها

ف . ت

شذرات

نحن وامين الريحاني

درسنا في عدد تموز الماضي كتاب السيد امين الريحاني المعنوَن « تاريخ نجد الحديث » ، فاظهرنا ، بكل اخلاص ، حسناته العديدة ، بعد ان اتخذنا بعض التحفُّظات منها واحدة فيما خصّ مسؤولية ابن سعود في مجزرة آل الرشيد . ولم نلبث ان استلمنا رسالةً صادرة عن الفريكة (لبنان) بتاريخ ١٢ تموز الفائت ، يُنكر فيها الريحاني وجوب تلك التحفُّظة ، ويرجو منّا نشر تعديله لما جاء في مقالنا . نقبلنا ذلك بطيبة خاطر ، وكنّا على وشك النزول عند رغبته بنشر رسالته في « مشرق » هذا الشهر — لأن مشرق آب - ايلول ظهر قبل وصول الرسالة — اذ فوجئنا بالرسالة نفسها منشورة في احدى جرائد المدينة بتاريخ ٧ آب . فكانت فعلته هذه مناقضة لجميع العادات المعهودة بين الصحافيين .

وكان قد امكن السيد امين الريحاني ان يقرأ ، في « مشرق » آب - ايلول ، حكمنا القاسي على « نكباته » ، فهل يجب ان نعزو عمله هذا غير اللائق الى بادرة غضب اثارها ذاك الحكم ؟ لسنا ندري . على انه لمّا لم يكن من عادة « المشرق » أن ينقل منشورات رصيفاته ، فسوف يُحرم قرّاؤنا الكرام رؤية اسم الريحاني بين كتبة مجلّتهم .

تمثال السمعاني

جاءنا من لجنة « تمثال السمعاني » ما يلي :

« لمّا كان السيد يوسف سمعان السمعاني ، الطائر الشهرة في الخافقين ، قد ترك من الآثار التاريخية والمؤلفات العلمية التي تقف عند عدّها الاقلام ، وتحار في وصفها الافهام ، رأت اساطين ائمة عصرنا هذا الأعلام ، وجهابذة

المؤرخين الثقات ، ومحبو نشر مآتي السالفين الغرّاء ، الهائمون بتخليد ذكر الرجال الافذاذ ، والدائبون برفع منار العلم ، واعلاء شأن الوطن بمن تفرّدوا فيه نبوغاً في العلم والادب ، ان يُقام أثر فخم لعلّامة الشرق هذا اعجوبة دهره وعصره ، فلبى آل مسقط رأسه هذه الدعوة فألفوا لجنة تعنى بهذا المشروع الخطير ، قوامها سيادة رئيسها الحبر العلّامة المطران بولس عواد رئيس اساقفة قبرس السامي الاحترام ، وحضرة المونسنيور الخوري اسقفي لويس السمعاني ، والمونسنيور ميشال ابراهيم الحوراني ، وبعض كهنة وذوات حصرون فسبكوا له تمثالاً من الشبه (البرونز) يمثله كاملاً ماسكاً بيده اليمنى قلماً وباليسرى قرطاساً يدوّن فيه تواريخ العصور الخوالي ، ناشراً ما طوته الأدهار من العلوم والاخلاق ، وتراجم مشاهير الرجال الدينيين والمدنيين . وقد عيَّنت هذه اللجنة حفلة رفع الستار عن تمثاله ، برئاسة صاحب الغبطة ماري الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى ، ميعاداً ستعلنه بدعوة رسمية في حينه . وهذه النشرة هي بمثابة إعلان لجميع اللبنانيين والسوريين ولعموم الشرقيين والغربيين ، لان هذا النابغة قد احيى في تأليفه المشهور المعروف « بالمكتبة الشرقية » ما كان قد اندثر من مآثر الشرق والغرب ، وتواريخ رجاله العظام ، وما انطمس من معالم الائمة المبرزين من كل امة ومذهب ، فأصبح الحجة الراهنة والمرجع الاخير لكل من كتب ويكتب عن الشرق والغرب من شرقيين ومستشرقين وسواهم . وبما ان هذه اللجنة من عزمها ان تنشر بالطبع تاريخ حياة هذا العلّامة ، وكل ما يصير القاؤه في ميقات الحفلة من الخطب والقصائد ، وما يُرسل اليها من هذا الباب مع اقوال الجرائد العربية والاعجمية ، لذلك ترجو من الكتبة والشعراء المُجيدين ان يتحفوها بغرر اقوالهم نثراً او شعراً ، الى بريد حصرون باسم هذه اللجنة ، او باسم رئيسها العامل حضرة المونسنيور الخوري اسقفي لويس السمعاني . وسلفاً تشكر لهم همتهم الشماء ، ونهضتهم الوطنية العليا . »

اهم حوادث الشرق في شهرين

١٥ تموز — ١٥ ايلول

طلب بعض الفلسطينيين الحكم الذاتي لبلادهم، فقيل لهم ان حكومة الملك لا يسعها السماح باي توسع كان في الحكم النيابي، ما لم يقترن بانماء المصالح المشتركة في البلاد كلها، ومعناه ان الاستقلال الادبي والاقتصادي هو المهيِّد الذي لا غنى عنهُ لبلوغ الاستقلال الاداري والسياسي، وان فلسطين لا تزال في مسيس الحاجة الى مساعدة الاجانب المادية والمعنوية، فعبثاً يعلّل سكّانها انفسهم بالحكم الذاتي.

وما كانت مصر، على نهضتها الحديثة، لتفوز بمطالبها في سبيل الاستقلال التام، بل آل امر سياسة المتطرفين من الوفديين الى تعطيل الحياة النيابية (١٩ تموز) الى ثلاث سنين، واعادة المراقبة على الصحف، وتوزيع الجيش في الامكنة التي يخشى حدوث حركات فيها.

وعقد في عمّان مؤتمر من اعيان البلاد وزعمائها البحث في المعاهدة المبرمة بين بريطانية وشرق الاردن وغرضه المطالبة بتوسيع الحكم الذاتي للبلاد. ولكن ما جاء في تقرير الحكومة البريطانية عن الادارة في شرق الاردن، وعن المبالغ التي انفقت على القوات العسكرية على الحدود، وقيمتها نحو مئة الف ليرة انكليزية للعام ١٩٢٧، دليل على ان اولياء الامر يهتمون فيها بحفظ الامن في البلاد، وفتح موارد الرزق فيها اكثر من اهتمامهم بفتح البارلمان.

***

ويا ليتنا نحن ايضاً نترك السياسة لاصحابها ونصرف مجهوداتنا اولاً في سبيل المشاريع التي تعود على سكان البلاد بالرزق والراحة والسلام. ولكن أبينا إلّا ان نُحدث الانقلاب في الحكومة اللبنانية، فبُدلت الوزارة الثلاثية بالوزارة الخماسية وخلف حبيب باشا السعد الشيخ بشاره الخوري في رئاسة الوزراء ووعد بانجاز اعمال مفيدة للشعب ونحن نرويها حتى اذا، لا سمح الله،

انقلبت الوزارة الحماسية الحالية ولم يتسنَّ لها ان تفي بوعودها الصالحة ، فلا اقل من ان يحفظ ذكرها لمن يليها من الحكّام.

هذا هو بيان الوزارة اللبنانية الجديدة :

١ً تحضير القوانين التي نصَّ عنها الدستور ولا تزال حتى الآن غير محضرة

٢ً تخصيص الفائض من الموازنات السابقة باعمال الريّ وتغطية الطرق بالاسفلت وتحسين حالة الزارع بزيادة الاعتمادات المرصودة للمصرف الزراعي

٣ً بناء دار لائقة بمجلس النواب

٤ً ايجاد المال اللازم لبناية دار للكتب والآثار

٥ً وضع قانون للانتخابات كي تجري الانتخابات المقبلة بمقتضاه

٦ً تنظيم البلديات ووضع الموازنة الجديدة على اساس الورق والاهتمام بمسألة حصر التبغ (الريجي) وحصة لبنان من الديون العثمانية بحيث يكون ما يدفعه موازياً لما تدفعه تركية

٧ً العناية بالتحريج والطرق والضرائب ولاسيما التمتع ومساعدة مدرسة الفنون والصنائع وتشويق المدارس اللبنانية الى انشاء فرق كشافة لفوائدها

٨ً انشاء بكلوريا لبنانية ورفع التعطيل الاداري عن الصحف والعناية بالمهاجرين وما يعود عليهم بالراحة ويحملهم على العود الى اهليهم

* * *

اما في سورية فقد اضطرمت نيران الهياج في قلوب النواب فاجمعوا على اعلان الوحدة السورية ومقاومة روح الانتداب . ولم يُسمع بينهم صوت مقاوم او معارض . وربَّ نائب بينهم نبذ في حلب ما كان قد اعتنقه في الشام وقال في المادة الثانية من الدستور انها تعليلة علّلوا بها الشعب

على ان بعض مواد مشروعهم الدستوري لا توافق المبادئ المقيّدة بقانون عصبة الامم . فاضطر العميد السامي الى إيقاف اعمال المجلس التأسيسي ، وتأجيل جلساته الى ثلاثة اشهر ريثما يتسنّى للنواب ان يتروّوا في امر الدستور وحتى تكون الدولة المنتدبة على بصيرة مما لها وعليها في تلك الازمة.

واليك مواد مشروع الدستور الواقع عليها الخلاف بين الفريقين :

المادة ٧٣ لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص . اما العفو العام فلا يمنح الا بقانون

٧٤ يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وابرامها. اما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بسلامة البلاد ، او بمالية الدولة ، او المعاهدات التجارية او سائر المعاهدات ، التي لا يجوز فسخها سنة فسنة ، فلا تعد نافذة الا بعد موافقة المجلس عليها

٧٥ يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم . ويولي الممثلين السياسيين ويقبل الممثلين السياسيين الاجانب . ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية

١١٠ تنظيم الجيش الذي سيؤلف يكون بقانون خاص

١١٢ لرئيس الجمهورية ان يعلن بناء على اقتراح الوزارة الاحكام العرفية في الاماكن التي تحدث فيها اضطرابات او قلاقل . ويجب ان يُعلم المجلس النيابي اعلان الاحكام المذكورة فورا ، واذا لم يكن المجلس مجتمعاً فيدعوه على وجه السرعة

٢ للبلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانيَّة وحدة سياسيَّة لا تتجزأ ، ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها منذ نهاية الحرب العامة

ومن اوضاع الدستور السوري ان رئيس الجمهورية لا يكون الَّا مسلما مما يدعو الى الاقرار بأن الدولة السورية قد اتخذت دين الاسلام ديناً رسمياً لها . ولا يخفى على العقلاء ما في ذلك الاقرار من قصر النظر والتسرُّع في الحكم . وهل تسمح الظروف بان تصطبغ البلاد بصبغة دينية رسمية وثلث سكانها لا يصطبغ بها ? او لا تقضي الظروف عينها بان تعترف سورية باحترام الدين اجمالا ومراعاة حقوق السكان الدينية ، من غير ما تنحاز الى فئة دون غيرها ? لقد رأى المتنوّرون في الامة ان تقتدي سورية في ذلك بالحكومة اللبنانية فلا تضع في دستورها امر الديانة مانعاً يحول بين الرئاسة ومن تكون فيه الكفاءة لها

ف · ت